

دراسة تحليلية للتفسير
فى ظلال القرآن

بحث مقدم للحصول على شهادة ايم - فل

إعداد وتقديم
شمشاد حسين

تحت إشراف
فضيلة الأستاذ محمد اسلم الاصلاحى

مركز الدراسات العربية والافريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
بجامعة جواهر لال نهرو، دلهى الجديدة

**ANALYTICAL STUDY OF QURANIC
EXEGETIS "FI ZILALIL-QURAN"**

*Dissertation submitted to the Jawaharlal Nehru University
in partial fulfilment of the requirements
for the award of the Degree of*

MASTER OF PHILOSOPHY

SHAMSHAD HUSAIN

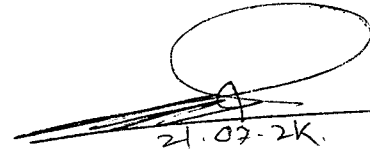
**Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi -110067
2000**



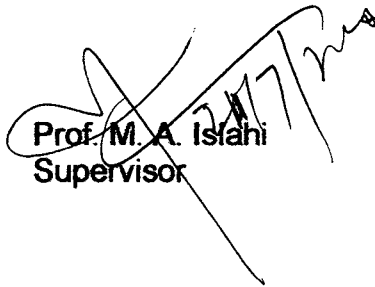
Dated: 21.7.2000

DECLARATION

I declare that the material in this dissertation entitled "Analytical study of Quranic Exegesis "Fi Zilalil-Quran" submitted by me is original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or other university/institution.



Shamshad Husain
Name of the Scholar



Prof. M. A. Islahi
Supervisor



Prof. S. A. Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS

الإهداء

إلى

أمي مع الدعاء من الله تعالى أن يتغمدها في أوسع رحمته

مقدمة البحث

المقدمة

نحمده و نصلى على رسوله الكريم . اما بعد !

لا ريب فى أن القرآن الكريم يخاطب قبل كل شىء الفكرة الإنسانية و يتقدم إليها الدلائل والإيحاءات الحية المتوفرة حولها و هكذا يظهر هذا الكتاب قلوب الإنسان و ينقذ فطرته من القذارة و الدناءة كما يحرك وظائفه المعطلة و يفتح منافذ الروح الإنسانى لتلقى الموحيات العليا . ففى ضوء التعاليم القرآنية يصلح الإنسان أموره و ذاته والمجتمع الذى يعيش فيه بصفة عامة . و يبنى عقيدة قوية فعالة تزيل رواسب الجاهلية من ضميره و أخلاقه و مجتمعه و تعده لمعركة حاسمة مع الشرك و جميع أنواعه المنتشرة فى المجتمع و من هنا يستعد الفرد و الجماعة لمواجهة الجاهلية فى جميع أشكالها .

و اذا نمعن النظر فى تفسير سيد قطب من هذه الناحية نجده تفسيرا قيما يخاطب مشاعر الإنسان و أحاسيسه مستخدما أسلوبا أدبيا رفيعا و يعرض على القارئ اتجاهات جديدة عملية للتفكير - اتجاهات لا تنكشف لأحد إلا بفضل رغبة شديدة فى القرآن و فهمه العميق المشتاق بسبب احتياجه الشديد لمعرفة الحق و متطلباته .

تفسير سيد قطب تفسير يحرك مشاعر الإنسان و ينشط قلبه و يناديه لينال القوة من هذا المصدر الربانى الدائم . و مع هذا كله يعالج مشاكل الحياة البشرية فى العصر الحاضر . فهذا التفسير يعنى بقضايا الإنسان بزماننا هذا و يوفر له ما يريد منه ربه فى الحياة . و هذا التفسير تفسير منعش

يملاً القلوب من الآمال و يعد الإنسان لمواجهة الباطل و حماية الحق فى جميع الأحوال والأوضاع - تفسير دعوى دليل للدعاة - فكرى يدرك طبيعة الدين و روحه - تفسير أدبى يجذب إليه ذهن القارى و فكرته وينقل إلى القارى ما يختلج فى صدر المفسر من مفاهيم القرآن الهامة و من تعاليمه الحية ورسالته الدائمة التى جاء بها رسول الله ﷺ إلى هذا الكوكب الأرضى .

و بناء ا على هذا كله لقد نال هذا التفسير قبولا واسعا فى الحلقات العلمية و الأدبية و الدينية للعالم العربى الكبير وتأثر به عدد كبير من الناس و خاصة النشأ الجديد و ذلك لأن سيد قطب قد اختار منهجا جديدا لتفسيره لكى يدحض الشبهات و الشكوك التى تعثر أذهان الجيل الجديد و تنفرها من التعاليم الإسلامية السمحاء . و لقد نجح سيد قطب فى تحقيق مطامحه هذه فوجد الجيل الحديث من المسلمين تفسيره أقرب إلى الروح القرآنى و الذهن الإنسانى الجديد .

فنظرا لهذه الأهمية للتفسير المذكور اخترته موضوعا للبحث لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراة و عنوانته ” دراسة تحليلية للتفسير فى ظلال القرآن“ .

ولست من السابقين الأولين فى هذا المضممار و قد كتب إلى الآن كثير ا عن سيد قطب و عن آثاره العلمية و الأدبية و الإسلامية . و على أية حال فلما عقدت العزم على كتابة مقالتي حول هذا الموضوع رجعت إلى أعضاء أقسام اللغة العربية فى الجامعات المختلفة للهند ملتتمسا منهم أن يخبرونى بما اذا قام واحد من طلاب جامعتهم بكتابة بحث حول هذا الموضوع فلم أجد أى رد منه . وكذلك حاولت أن أجد على شبكة انترنت . إلا أن جهدى لم يتكلل بالنجاح . وبعثت إلى صديقى الدارس بجامعة

الإمام محمد ابن سعود رياض. فبحث هو عن هذا الموضوع و أرسل الى قائمة كتب ألفت عن حياة سيد قطب و آثاره الأدبية فى العالم العربى. وحسب هذه القائمة الأبحاث التالية قدمت حتى الآن فى الجامعات المختلفة فى العالم .

☆ قدمت سميرة فياض رسالتها للدكتوراة تحت عنوان "سيد قطب فكره و أدبه" فى جامعة مانشستر فى بريطانيا و ذلك فى عام ١٩٧٧ م.
☆ مهدي فضل الله قدم رسالته للدكتوراة فى الجامعة السولون (باريس) فى قسم الفلسفة تحت عنوان "مع سيد قطب فى فكره السياسى و الدينى" و ذلك فى عام ١٩٧٨ م.

☆ قدم رسالتا الماجيستر عن سيد قطب الأولى : رسالة صلاح دجلور المعنونة "سيد قطب و التصوير الفنى فى القرآن" قدمها الباحث المذكور فى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود . والأخرى : رسالة اسماعيل الحاج أمين بعنوان "سيد قطب و منهجه فى التفسير" قدمها الباحث المذكور فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف .

☆ قدم صلاح دجلور رسالته لنيل الشهادة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود تحت عنوان "الإتجاهات فى تفسير سيد قطب" .
☆ إبراهيم عبد الرحمن البليهى قدم حاليا رسالته للدكتوراة تحت إشراف مناع القطان بعنوان "سيد قطب و تراثه الفكرى والأدبى" فى كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود .

و قد علمت قبل شهرين أن طالبا يكتب بحثا فى جامعة 'لوبرو' ليستر (بريطانيا) بعنوان "ظهور داعية إسلامى و التطور الفكرى عند سيد قطب" .
و فى سياق هذه التطورات لا حظت أن دراسة عن تفسير سيد قطب لاتخلو من الفائدة فى الهند . و لتحقيق هذا الهدف قسمت مقالتى إلى ثلاثة

أبواب .الباب الأول يحتوى على تاريخ تفسير القرآن بوجه عام . والثانى ينطوى على سيرة سيد قطب الذاتية مع إلقاء الضوء على بعض آثاره الرائعة و اعماله . والباب الثالث يشتمل على دراسة شاملة تحليلية عن التفسير ”فى ظلال القرآن“ . و هذه الأبواب كلها ينقسم إلى فصول عديدة و مباحث صغيرة .

الباب الأول يتضمن تاريخا مؤجزا عن فن التفسير و هو يتعلق بالموضوع مباشرة . و فى هذا الباب استعرضت تدريجيا تاريخ التفسير حتى أيا منا هذه و ما قام به المفسرون من الأعمال الرائعة فى مجال التفسير و فى هذا الصدد جئت بذكر الباحثين و كبار المفسرين وأشهر تفاسيرهم منذ بدأت كتابة التفسير وأخيرا وصلت إلى نتيجة أن القرن العشرين قرن هام من ناحية كتابتهم فن التفسير لأن فى هذا القرن فتحت آفاق جديدة و اتجاهات متنوعة مختلفة . و هكذا لقي هذا الفن حياة جديدة بحيث أصبح القرآن فى هذا الزمن وثيقة الصلة بالحياة الإنسانية الحديثة . و هذا التطور فى نظرى ذو أهمية كبرى .

كتبت الباب الثانى ”حياة سيد قطب و اعماله“ اعتقادا أن البحث لا يكتمل بدون المعرفة عن الأوضاع و الظروف التى نشأ و ترعرع فيها سيد قطب و خلف و آراءه آثاره العلمية والأدبية .

و مع التطورات كلها فى العصر الحديث نجد أن الشبهات والشكوك حول القرآن والإسلام قد ازدادت فى هذا القرن . إلا أن العلماء الكبار قاموا بدحضها و بطلانها وسيد قطب يحتل مكانة الصدارة فى صفوف هؤلاء العلماء الكبار لأنه لم يدخر أى جهد للرد على الأقاويل الباطلة لأعداء الإسلام والمسلمين .

ولارىب فى أنه ألف تفسيره ’فى ظلال القرآن‘ تحقيقا لهذا الهدف

النبييل . فبفضله نرى الآن حركة إسلامية فى العالم العربى كله و فى الدول
الإسلامية الأخرى و هذه الحركة تتمحور بصفة عامة حول تفسيره القيم
'فى ظلال القرآن' . فجزاء الله خير الجزاء لهذا العمل الجليل .

و أخيرا أود أن اعبر عن مشاعرى الصالحة و عواطفى الطيبة تجاه
الأستاذ محمد أسلم الإصلاحى الذى قام بالإشراف على مقالتي هذه .
فأشكره من صميم قلبى على ما وجدت من قبله من الشفقة والإرشاد
والمساعدة عند ما احتجت إليها . و ليست لدى كلمات كافية لإظهار
عواطف الشكر و الدعاء له . فجزاء الله أحسن الجزاء . (آمين)

وأشكر الأخ محى الدين غازى سبحانى الذى مد إلى يد العون
والمساعدة فى إعداد هذا البحث - و قد عاد متأخرا من المملكة العربية
السعودية بعد تكميل دراسته : وهو الذى وفر لى معظم المعلومات التى
حصلت عليها من البحوث المتواجدة فى الجامعات المختلفة بالمملكة
العربية السعودية . فجزاء الله أحسن الجزاء و زاده علما و تفقها فى الدين و
يتقبله لخدمة دينه الحنيف . آمين

و أخيرا و ليس بآخر أدعوا الله تعالى أن ينال هذا البحث قبولا لديه و
لديكم و جعله لى من أسباب الخير و البركة . آمين

العبد الفقير إلى الله

شمشاد حسين

٢٠ / ٧ / ٢٠٠٠ م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
مدرسة دراسات اللغة و الأدب و الثقافة
جامعة جواهر لال نهرو ، دهلى الجديدة

الباب الأول

تاريخ تفسير القرآن

الفصل الأول

فى تعريف التفسير و نشأته

تعريف التفسير ونشأته

التفسير فى الاصطلاح اللغوى يطلق عادة على الايضاح والتبيين .
وأما فى الاصطلاح الفنى فتتضارب حوله آراء العلماء والباحثين و
بالتالى نجدله فى الكتب العلمية تعريف متعددة متقاربة فى المعنى والغاية و
سنذكر هنا بعضا منها :

١ . علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله

تعالى بقدر الطاقة البشرية. ١

٢ . علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله و سنده و أدائه و

الفاظه و معانيه المتعلقة بالألفاظ و المتعلقة بالأحكام. ٢

٣ . علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها

الافراذية و التركيبية و معانيها التى تحمل عليها حال التركيب و غير ذلك

كمعرفة النسخ و سبب النزول و مابه توضيح المقام كالحقصة و المثل. ٣

يقول العلامة الزرقانى بعد نقل التعريفات المذكورة أعلاه:

”وهذا تعريف و سط بين التعريفين و من السهل روجوعه إلى التعريف الأول

لأننا ما ذكر هنا بالتفصيل“ . ٤

بعد هذا كله يليق بنا أن نقوم بذكر فضائل هذا العلم فاولا النخص ما

كتبه العلامة السيوطى بخصوص هذا العلم فهو يقول :

”أن صناعة التفسير قد حازت الشرف والفضل لجهات ثلاثة التالية.“

ص ٤

ص ٥

ص ٦

ص ٦

المجلد الثانى

للسيوطى

١- مناهل العرفان- للزرقانى

٢- المرجع السابق

٣- الاتقان فى علوم القرآن

٤- مناهل العرفان المجلد الثانى

جهة الموضوع لأن موضوعه كلام الله تعالى.....

جهة الغرض لأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لاتزول ولا تفنى .

جهة شدة الحاجة لأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوفرة على العلم بكتاب الله تعالى . ١

نشأة التفسير

يرجع تاريخ نشأة هذا العلم إلى وقت نزول القرآن حيث كان رسول ﷺ يبين ويفسر نصوصه التي تقتضى البيان والتفسير .

ثم جاء عهد الصحابة فكانوا مع الرواية لتفسير الرسول ﷺ . كانت لهم آراء تفسيرية ومدراس في التفسير كمدرسة ابن عباس .

ثم يليه عهد التابعين وفي هذا العهد إزدادت العناية بالتفسير كما كثر عدد المفسرين في الأقطار المختلفة .

إلا أن تدوين هذا العلم قد جاء إلى حيز الوجود في عصر اتباع التابعين حيث جمعت الأقوال التفسيرية في صورة كتاب مستقل وفي هذا الصدد يقول العلامة السيوطي :

”ثم ألفت في التفسير خلائق فاختصروا الاسانيد ونقلوا الأقوال الثرى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسخ له قول يورده و من يخطر بباله شئ يعتمده ثم ينتقل ذلك عنه إلى من يجى بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ماورد عن السلف الصالح و من يرجع إليهم في التفسير .

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في العلوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه“ . ١

إن الصورة التي تظهر في ضوء ما قاله السيوطي صورة قد لا تطابق
الواقع بحيث أنها تصور الواقع كأن حركة التفسير خمدت أو انحرفت بعد
القرون الأولى . ولعله نظر إلى ذلك بمعيار التفسير بالمأثور .
وفي الصفحات التالية ستكون الصورة واضحة أكثر .

الفصل الثانى

التفسير فى العهد الإسلامى الأول

التفسير في العهد الإسلامي الأول

هذا العهد يشتمل أصحاب الرسول الذين اشتغلوا بعلم التفسير و في الحقيقة كان جماهير الناس في ذلك الزمن علي علم بمعاني القرآن . حيث نهلوا من منهل الرسول ﷺ و صفاء فطرتهم و سلامة ذوقهم و سعة معرفتهم باللغة العربية كانت تكفيهم مؤونة التفسير والاستفسار في كثير من الأحيان .

إلا أن قليلا منهم نالوا شهرة واسعة فيقول العلامة السيوطي :

”اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة و ابن مسعود و ابن

عباس و أبي بن كعب و زيد ثابت و أبو موسى الأشعري و عبدالله بن الزبير

رضى الله عنهم جميعاً . أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم علي بن طالب[ؓ]

و الرواية عن الثلاثة قليلة جدا و كان السبب في ذلك تقدم وفاتهم“ ١ .

زاد العلامة الزرقاني بعض الأسماء علي هذه القائمة قائلا :

”و قد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء العشرة شئ من التفسير بيد أنه

قليل منهم أنس و أبو هريرة و ابن عمر و جابر و عمرو بن العاص و عائشة أم

المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين“ ٢ .

إلا أن أكثر الصحابة تفسيرا علي الاطلاق هو عبدالله بن عباس[ؓ] و

كان قد حصل علي شهادة من الرسول ﷺ اذ لقيه بكلمة ”ترجمان

القرآن“ .

”روي عن مجاهد قال قال ابن عباس قال لي رسول الله ﷺ نعم ترجمان

القرآن أنت“ ٣ .

وبالرغم منه أن ما أثر عن ابن عباس في التفسير قد جرت عليه

دراسات لقيمتها العلمية و الفنية كما يتبلور من الاقوال المذكورة أدناه

ص ٥٢٥

١- الإتقان في علوم القرآن

ص ١٩

المجلد الثاني

٢- مناهل العرفان

الباب العاشر

٣- البخاري كتاب الوضوء

فيقول تلميذ ابن عباس[ؓ] وهو مجاهد : "انه اذا فسر الشئ رأيت عليه النور"
كما يقول علي[ؓ] في تفسيره :

"كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق". و يقول ابن عمر بهذا الشأن "ابن
عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد و من رجوع بعض الصحابة و كثي
ر من التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله". ٤

الفصل الثالث

التفسير فى العهد الأموى

التفسير في عهد الأموي

في العهد الأموي انتشر علماء التفسير في جميع أقطار العالم الإسلامي حاملين لواء القرآن. إلا أن مراكز ثلاثة في التفسير قد اشتهرت لكونها مرجعاً لطلاب العلم. و لكونها ملتقى لعدد كبير من أشهر المفسرين آنذاك. و من هذه المراكز :

(١) مركز التفسير في مكة المكرمة.

(٢) مركز التفسير في المدينة المنورة.

(٣) مركز التفسير في العراق .

قال ابن تيمية :

”أعلم الناس بالتفسير اهل مكة لأنهم أصحاب بن عباس كمجاهد و عطاء بن

رباح و عكرمة مولى ابن عباس و سعيد بن جبير و طاؤوس و غيرهم“ .١

والذين اشتهروا من المركز المدينة : زيد بن أسلم ، أبو العالية،

محمد بن كعب القرظي .

و أهم أساتذة المركز العراقي : مسروق بن الأجدع و قتادة بن

دعامة، أبو سعيد الحسن البصري و عطاء بن أبي مسلم الخراساني و مرة

الهمداني .

فأكثر هؤلاء المفسرين من أعلام التابعين شهد بفضلهم العلماء

المحققون؟

قال الثوري :

”خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة

والضحاك“ .٢

قال الشافعي :

”ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة“ .٣

قال ابن عون :

١- مقدمة في اصول التفسير لابن تيمية ص ٦١

٢- مناهل العرفان المجلد الثاني ص ٢٣

٣- المرجع السابق

”مارأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي“ ١.

و جاء بعد التابعين طبقة أتباع التابعين و هؤلاء اکتفوا عموما بجمع أقوال الصحابة والتابعين مثل سفیان بن عیینة و وکیع بن الجراح و شعبة بن الحجاج و یزید بن ہارون و عبدالرزاق و آدم بن أبی ایاس و إسحاق بن راهویہ و روح بن عبادہ و غیرہم .
لم يتم و ایا كان الامر تدوين الاقوال التفسيرية حتى العهد الاموي .
ففي العصر العباسي بدأت عملية التدوين على نطاق اوسع .

الفصل الرابع

التفسير في العهد العباسي

التفسير فى العهد العباسى

و من الممكن أن نقول أن العهد العباسى هو العهد الذهبى لتفسير القرآن حيث دونت و جمعت الأقوال المأثورة و جاء التفسير بالدراية مع التفسير بالرواية و تعددت جوانب التفسير و تنوعت اتجاهاته و اتسعت آفاقه مع أن هذا الاتساع قد الحق التفسير ببعض الاضرار اذ ان هذا الاتساع قد فتح مجالا واسعا لاهل الاهواء و التعصب .

و فيما يلى نذكر أهم التفاسير و أشهرها التى صنفت فى العصر العباسى و هذا الذكر فى الحقيقة بمثابة غيض من فيض لان الاستقصاء ليس الغرض منه .

١ . بقى بن مخلد القرطبى (المتوفى ٢٧٦ هـ)

يقول عنه العلامة الزرقانى نقلا عن ابن حزم :

”أقطع أنه لم يؤلف فى الاسلام مثل تفسيره لا تفسير ابن جرير ولا غيره“ . ١

٢ . أبو جعفر بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ)

يقول عنه العلامة السيوطى :

”و كتابه أجل التفاسير و أعظمها“ و تكاد آراء العلماء الراسخين تجمع على

أنه لم يؤلف فى التفسير مثله . ٢

و من ميزات تفسيره :

أن فى ذلك العهد كان الاكتفاء بمجرد جمع الأقوال و أما الطبرى فكان يوجه

الأقوال و يرجح بعضا على بعض و يذكر الاعراب و يستنبط الاحكام و هو

ذخيرة للأبيات الشعرية التى يحتج بها فى الاستشهاد . و قد أخذ عليه أنه

جمع الصحيح و السقيم من الروايات و يجاب بأن من أسند فقد برئ .

٣ . ابو الليث السمرقندى (٣٧٣ هـ)

يقول الدكتور الذهبي عن تفسيره:

”تبعث هذا التفسير فوجدت صاحبه يفسر القرآن بالمأثورة عن السلف فيسوق الروايات عن الصحابة والتابعين و من بعدهم في التفسير و لكنه لا يذكر إسناده إلى من يروى عنهم و بالجمله فالكتاب قيم في ذاته جمع فيه صاحبه بين التفسير بالرواية و التفسير بالدراية إلا أنه غلب الجانب النقلى فيه على الجانب العقلى“ . ١

٤ . على بن احمد بن محمد الواحدى (٤٦٨ هـ)

و من أشهر مؤلفاته كتابه ”اسباب النزول“ اقتصر فيه على بيان أسباب النزول بالمأثور و هو من أعظم ما ألف في هذا الموضوع . ٢
٥ . محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ)

يقول العلامة ابن خلدون و هو يتحدث عن معرفة اللغة والإعراب والبلاغة :

”و من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم بالعراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له فى آي القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه و تحذير للجماهير من مكانه مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان و البلاغة“ . ٣

و فى الحقيقة كل من جاء بعده ممن عني ببلاغة القرآن استفاد منه حتى قال العلامة ابو حيان :

”أجل من صنف فى علم التفسير و أفضل من تعرض للتفكيح فيه و التحرير“ . ٤
و قد بين العلامة الزرقانى ما يمتاز به الكشاف بالإيجاز كما يقول :

”منها خلو من الحشو و التطويل و منها سلامته من القصص و الاسرائيليات و

١ -	التفسير و المفسرون	الجلد الاول	ص ٢٢٠
٢ -	مناهل العرفان	المجلد الثانى	ص ٣٦
٣ -	مقدمة ابن خلدون		ص ٤٩١
٤ -	تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسى	المجلد الاول	ص ١٣٣

منها اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب و أساليبهم و منها عنايته بعلمي
المعاني و النكات البلاغية تحقيقا لوجوه الاعجاز و منها سلوكه فيما يقصد
ايضاحه طريق السؤال و الجواب كثيرا“ ١ .

٦ . ابو محمد عبدالحق بن ابي بكر بن عطية الغرناطي (٥٤٢ هـ)
الذي ألف تفسيره بعنوان المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز“ .
يقول العلامة ابو حيان عن هذا لتفسير و عن الكشاف للزمخشري :
” أجل من صنف في علم التفسير و أفضل من تعرض للتنقيح فيه و التحرير
و كلامهما فيه يدل على تقدمهما في علوم من منثور و منظوم و منقول و
مفهوم“ ٢ .

ويستطرد قائلاً :

” و كتاب ابن عطية أنقل و أجمع و أخلص و كتاب الزمخشري الخص و
أغوص“ ٣ .

و من الجدير بالذكر أن ابن عطية قد انتقد كثيرا في تفسيره تفسير
ابن جرير الطبري .

٧ . فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٦٠٦ هـ)

و اسم تفسيره ”مفاتيح الغيب“ . وهو تفسير يمثل التفسير بالرأى
الجائز . وهو حقا موسوعة علمية تشمل التفسير وغيره . و مما يتميز به
تفسيره هو اهتمامه الكبير ببيان المناسبات بين آيات القرآن و سوره . و
كثرة استطراده للعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية و عنايته الفائقة بالرد
على المعتزلة و الذود عن مذهب اهل السنة . إلا أنه حسب قول بعض
العلماء لم يكن موفقا في هذا المضمار حتى قيل عنه ” يورد الشبه نقدا و
يحلها نسيئة“ . و تركيزه على ذكر الأحكام الفقهية و الاصولية و النحوية

حتى قيل عن تفسيره أن فيه كل شيء إلا التفسير والحق أن فيه كل
شيء وفيه التفسير كما يقول العلامة الزرقاني :
”من أهل السنة من استسبل في الدفاع عن عقيدتهم في تفسيره و على رأس
هؤلاء الامام فخرالدين الرازى“ . ١

الفصل الخامس

التفسير بعد العهد العباسي

التفسير بعد العهد العباسي

نلاحظ أن التفسير بعد العهد العباسي اتسع نطاقه أكثر و ان كان الاعتماد في هذا الزمن على التفاسير السابقة . و فيما يلي نأتى بذكر بعض اسماء المفسرين بالايجاز:

١ . ابو عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦٧١ هـ)

وتفسيره ” الجامع لأحكام القرآن“ مختص بأحكام القرآن كما هو ظاهر من عنوانه إلا أن فيه فوائد جمّة قد سبقه في هذا الميدان عديد من العلماء و المفسرين . فأول من ألف في أحكام القرآن الامام الجصاص و ابن العربي . إلا أن تفسير القرطبي يتفوق على تفاسير الآخرين . و إنه بحق موسوعة فقهية .

٢ . ناصر الدين ابو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى (٦٨٥ هـ)

الف تفسيره تحت عنوان ”أنوار التنزيل و أسرار التأويل“ . وهو فى الاصل اختصار لتفسير الكشاف للزمخشري . إلا أنه جمع فيه فوائد أخرى ذات أهمية بالغة و كتب الله له القبول فتلقته أيدي الأمة بالمدح و الشناء . يقول عنه العلامة الزرقانى:

”وأما تفسير البيضاوى فهو كتاب دقيق جميع بين تفسير و التأويل على قانون

اللغة العربية و قرر الأدلة على اصول اهل السنة“ .١

٣ . عبد الله بن أحمد النسقى (٧٠١ هـ)

وهو صاحب ”مدارك التنزيل و حقائق التأويل“ . و تفسيره المذكور اختصار لتفسير البيضاوى و تفسير الزمخشري .
ويقول الدكتور الذهبى عنه :

”قرأت فى هذاالتفسير فوجدته كما قلت آنفا موجز العبارة، سهل المأخذ،

مختصرا من تفسير الكشاف، جامعا لمحاسنه متحاشيا لمساوئه و من تفسير

البيضاوى أيضا . حتى انه ليأخذ عبارته نصا أو قريبا منه و يضمنها تفسيره“ ١.

٤ . علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادي الخازن (١٧٤ هـ)

و تفسيره معروف بإسم ”تفسير الخازن“ و هو من التفاسير التي قدرت لها الشهرة و الصيت فى الخافقين . و يقول عنه العلامة الزرقانى :

”تفسير مشهور يعنى بالمأثور من غير ذكر اسانيد و ماغيره . أنه يتبع القصة

بيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها غر و لا يفتن جاهل“ ٢.

٥ . ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسى . (٧٤٥ هـ)

وقد ألف تفسيره بعنوان ”البحر المحيط“ و هو حقا بحر واسع كاسمه فيقول عنه الدكتور الذهبى :

”و معتبر عندهم المرجع الأول و الأهم لمن يزيد أن يقف على وجوه الإعراب لالفاظ القرآن الكريم إذ أن الناحية النحوية هى أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز و المؤلف إذ يتكلم عن هذه الناحية فهو ابن بجدتها و فارس جلبتها غير أنه و الحق يقال قد أكثر من مسائل النحو في كتابه مع توسعة في مسائل الخلاف بين النحويين حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير“ ٣.

ولكن السؤال هل كان الذهبى موفقا في مجهوداته ؟ يبدو لى أنه الأمر ليس كما يدّعيه الذهبى لان تفسيره يشمل كثيرا من العلوم و المعارف و فى هذا السياق يبين الذهبى منهجه بنفسه يطبقه على تفسيره كما يقول :

”و ترتبى فى هذا الكتاب أنى ابتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية..... ثم أشرع فى تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب و نسبتها و مناسبتها و ارتباطها بما قبلها حاشدا فيها القراءات شاذها و مستعملها ذاكرا توجيه ذلك فى علم العربية ناقلا أقوال السلف و الخلف فى فهم معانيها.....

١- التفسير والمفسرون	المجلد الاول	ص ٢٩٠
٢- مناهل العرفان	المجلد الثانى	ص ٧٦
٣- التفسير والمفسرون	المجلد الاول	ص ٣٠١

مبديا ما فيها من غوامض الاعراب و دقائق الآداب“ ١.

و فى جميع هذه الامور إنه فى الحقيقة قد سلك مسلك الزمخشري و ابن عطية متأثرا بهما .

٦ . احمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي (٧٥٦ هـ) الذى كتب تفسيره باسم ” الدر المصون فى علم الكتاب الممكنون “ من اعظم التفاسير التى عنيت بالجانب النحوى و التوجيه الإعرابى .

و قد قام بتحقيقه الدكتور احمد الخياط و هو تحقيق ذو فوائد جملة و له تفسير آخر بتفسير السمين الحلبي . و إنه صنف كتابا آخر باسم كتاب ” عمدة الحفاظ فى تفسير اشرف الألفاظ “ أحسن كتاب فى شرح مفردات القرآن .

وله مناقشات مفيدة مع شيخه أبى حيان و هذه المناقشات القيمة مشتهرة و قد نقل راغب الطباخ عن تذكرة النوادر للهاشم الندوي قول سيد سليمان الندوي التالى :

” رأيت هذا الكتاب بنظر غائر و قد نهج مؤلفه نفس المنهج الذى سار عليه

الزمخشري فى كشافه و عندى هذا من حيث طريقته و تحقيقه يفوق

الكشاف“ ٢ .

٧ . ابوالفداء اسماعيل بن كثير (٧٧٤ هـ)

الذى نال تفسيره شهرة باسم ” تفسير القرآن العظيم “ . قيل عنه أنه خلاصة تفسير ابن جرير . و هو كتاب متداول فى العالم . قال عنه العلامة الزرقانى :

” و تفسيره هذا من أصح التفاسير بالمأثور ان لم يكن أصحها جميعا نقل فيه

عن النبى ﷺ و كبار الصحابة و التابعين“ ١ .

و هذا التفسير من التفاسير التى استفاد منها العلماء كثيرا و لاسيما

ص ١٣٥

المجلد الاول

١- البحر المحيط

ص ٣١٥

المجلد الاول

٢- تاريخ الافكار و العلوم الاسلامية لراغب الطباخ

في هذا العصر فقدمت له دراسات و مختصرات منها مختصر ابن كثير
لمحمد على الصابوني .

٨ . برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي (٥٨٨٥هـ)

الذى الف تفسيره بعنوان "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" و هو
تفسير فريد من نوعه. ألفه على فكرة محددة و نهج معين. و هو التماس
المناسبات بين الآي والسور و هذا يكون أكثر محاولة من حيث حجمه في
هذا المجال. إلا أن البقاعي اذ كانا معارضا لمتصوفة عصره واذ كان
التصوف يسود الجو في ذلك الزمن. و لذا تعرض هو للابتلاء كما تعرض
تفسيره للإهمال و الخمول و مع هذا كله يؤخذ علي هذا التفسير بحيث أنه
يشتمل علي تكلف شديد في البحث عن المناسبات و لعله الزم نفسه ببيان
المناسبة سواء ظهرت له بالوضوح أم لم تظهر.

٩ . جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)

الذى ترك ورائه اعمالا جليدة و متنوعة في التفسير. فقد فسر القرآن
باسم "ترجمان القرآن" الذى ينطوى على مجلدات عديدة ثم اختصره فى
كتاب بعنوان "الدر المنثور فى التفسير المأثور" و قيل أنه شرع فى تفسير
جامع باسم "مجمع البحرين و مطلع البدرين".

إلا أن الذى بين أيدينا هو الدر المنثور فى التفسير المأثور. وهو
الكتاب الوحيد الذى ليس فيه إلا المأثور.

و له أيضا تكملة تفسير الجلالين الذى بدأ به جلال الدين المحلى و
أكمله جلال الدين السيوطي. و لهذه المناسبة سمي تفسير
"الجلالين". والتفسير هذا غاية فى الإيجاز و الإختصار حتى قيل أن عدد
حروف القرآن و عدده إلى سورة المزمل متساو. و مع ذلك فهو من أشهر
التفاسير و أكثرها انتشارا و عناية.

TH-17984



١٠ . ابو السعود ابن محمد العماد (٩٨٢ هـ)

الذى ألف تفسيره تحت عنوان ” إرشاد العقل السليم ألى مزايا القرآن الكريم “. ويقول عنه العلامة الزرقاني :

”تفسير رائع ممتاز يستهويك حسن تعبيره و يروئك سلامة تفكيره و يروعك

ما اخذ نفسه به من تجلية بلاغة القرآن “. ١.

١١ . محمد بن على بن محمد الشوكانسي (١٢٥٠ هـ)

الذى فسر القرآن باسم ”فتح القدير“ و هذاالتفسير نموذج فريد في الجمع بين التفسير بالرواية و التفسير بالدراية.

١٢ . محمود بن عبد الله الألوسي (١٢٧٠ هـ)

الذى ألف تفسيراً قيماً باسم ”روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني“ و هو تفسير يمثل تفسير الإشارى . ويقول عنه العلامة الزرقانى :

”و هذا التفسير من أجل التفاسير و أوسعها و أجمعها . نظم فيها روايات

السلف بجانب آراء الخلف المقبولة و ألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة و ما

يفهم بطريق الإشارة “. ٢.

و فى حين يرى الدكتور الذهبى أن هذا التفسير أولى أن يجعل فى عداد كتب التفسير بالرأى المحمود و ليس فى كتب التفسير الإشارى نظراً إلى أنه لم يكن غرضه الحقيقى إلا التفسير الإشارى بل كان ذلك تابعا . هو يقول مثنيا عليه :

”وجلة القول فى روح المعاني للعلامة الألوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية

قيمة“. ٣

الفصل السادس

التفسير في القرن العشرين

التفسير في القرن العشرين

نلاحظ أن حركة التفسير قبل القرن العشرين بقليل إما قد توقفت أم بطأت. و المحاولات التي قام بها العلماء في إبان هذه الفترة كانت شبه تكرار لما سبق في القرون الماضية. أما في القرن العشرين فنلاحظ حياة جديدة في حركة التفسير تمخضت عن تفاسير كثيرة فبعض منها يتصف بميزات قلما نجدها عند المتقدمين وعلى سبيل المثال نأتي بذكر بعض المفسرين في السطور التالية.

١. حميد الدين الفراهي صاحب تفسير "نظام القرآن". و هذا التفسير يعد من أروع التفاسير الموجودة في المكتبات العلمية و الدينية و من الملاحظ منا أن هذا التفسير ليس بكامل بل هو تفسير لجزء قليل من القرآن الكريم إلا أنه أنار الطريق لمن بعده.

إمام مفسر القرآن حميد الدين الفراهي في تفسيره المذكور لم يتمسك بالاسلوب التقليدي بل فتح آفاقا جديدة إلى جانب كونه مفسرا كبيرا. كان الفراهي عالما كبيرا بأشعار العرب و حافظا لها كما كان عالما بالعبرانية و بأسفار القديمة و بالفلسفة الحديثة.

وفوق كل ذلك إنه كشف لنا سر إعجاز القرآن بما في ذلك من نظم القرآن. فوقف الفراهي حياته كاملة على القرآن و فهمه و جاء في النهاية بما ينبه العيون و يدهش العقول. و فيما يلي ندرج ملخصا ما وصل إليه الفراهي من النتائج الهامة في أثناء تدبره و تعمقه في القرآن المجيد.

الف. القرآن قطعي الدلالة و لا يحتمل إلا معنى واحداً.

ب. تنوع الاساليب لا تخلو من حكمة.

ج. الإعجاز من لوازم القرآن الكريم و ليس من مقاصده.

د. الاهتمام بالمناسبات بين السور و الآيات امر لا بدى.

- هـ . البحث عن عمود السورة يساعدنا في فهم القرآن .
و . الاقسام في القرآن ليست إلا للإستشهاد على المقسم عليه .
ز . التدبر في القرآن ينبغي أن يكون مباشرا بدون واسطة .
ح . القرآن جله يفسر بعضه بعضا .

٢ . محمد رشيد رضا

الذى نال تفسيره شهرة باسم "تفسير المنار" و في هذا التفسير إنه بوجه عام سلك مسلك أساتذه هو الشيخ محمد عبده . إنه قد بين في أكثر الأماكن رأي أساتذه كما ذكر قيمته العلمية والأدبية . فمنهج تفسيره معروف في الدوائر العلمية والحلقات الدينية .

يقول مناع القطان عن تفسير المنار :

" و هو تفسير عني بالمأثور عن سالف هذ الأمة من الصحابة و التابعين و بأساليب اللغة العربية و بسنن الله الإجتماعية . يشرح الآيات بأسلوب رائع و يكشف عن المعاني بعبارة سهلة و يوضح كثيرا من المشكلات و يرد على ما أثير حول الاسلام من شبهات خصومه و يعالج أمراض المجتمع بهدى

القرآن" . ١

و لأريب في أن تفسير المنار قد ترك أثرا واضحا في تكوين الذوق القرآنى فى هذا العصر و قام بسد ثغرة عظيمة . فقد أعطى للتفسير ثوب الجودة مع بقاء الأصالة .

و جميع مدراس التفسير فى العالم العربى فى هذا العصر لا تستفيد من هذا التفسير فحسب بل تتاثر به كثيرا لأنه يمثل منهجا عقلانيا و فكرة جديدة و نهضة علمية .

٣ . محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي :

الذى ألف تفسيره بعنوان "أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن" .

لم يستطع الشنقيطي إكمال هذا العمل الرائع فأتمه تلميذه عطية محمد سالم.

وهذا التفسير كما هو ظاهر بإسمه يركز على تفسير القرآن بالقرآن كما أنه يعتني بتنقيح المسائل و تحقيق المناط في مسائل الخلاف والحاق النظر بالنظر من الآيات.

٤. الشيخ طنطاوي الجوهري

الذي فسر القرآن باسم "تفسير الجواهر" و حاول فيه أن يفتح أفقا جديدا من آفاق التفسير و هو العناية بالعلوم الكونية و إثباتها بالآيات القرآنية. و لكن هل نجح الجوهري في محاولته و هل قدر له التوفيق؟ يرد على هذا السؤال مناع القطان قائلا:

"و قد أساء الشيخ طنطاوي الجوهري في نظرنا بهذا التفسير إسائة بالغة من

حيث يظن أنه يحسن صنعا و لم يجد تفسيره قبولا لدى كثير من المحققين

لما فيه من تعسف في حمل الآيات على غير معناها".^١

٥. طاهر بن عاشور

الذي ألف تفسيراً قيماً باسم "التحرير و التنوير" الذي قام بنشره 'الدار التونسية'. جذب هذا التفسير أعين العلماء و الباحثين إليه فاعتبره بعض العلماء انجازاً علمياً ضخماً إذ ان صاحب هذا التفسير قد فاق على كثير من المتقدمين و المتأخرين في حل بعض المعضلات القرآنية و هذا التفسير يحتمل مكانة عالية بين كتب التفسير الموجودة في مكتبات العالم.

الباب الثاني

حياة سيد قطب و أعماله

الفصل الأول

فى حياة سيد قطب

حيات سيد قطب

ولد سيد ابن الحاج قطب بن ابراهيم فى قرية 'موشا' من قرى الصعيد تابعة لمحافظة 'اسيوط' التى قد استوطنها جده الخامس القادم من الهند. و كانت ولادته سنة ١٩٠٦م و نشأ فى أسرة ميسورة الحال فى وضع مالى حسن إلا أنها لم تكن تمتلك ثروات طائلة و كان لوالده مكانة رفيعة محترمة لدى اصحاب القرية.

ذهب به والده إلى كتاب القرية ثم لما رأى توحشه منه ألحقه بمدرسة النظامية و هكذا "جمع الطفل بين حسنى المدرستين حفظ القرآن فى الكتاب و نظام الصفوف و ساحة المدرسة الفسيحة و منهاج الحساب و القراءة و النشيد فى مدرسة الدولة". ١.

لقد انتهى دراسته سيد قطب فى مدرسة القرية فى عام ١٩١٨م ثم انتقل إلى القاهرة و التحق بمدرسة ثانوية تسمى حينذاك "تجهيزية دارالعلوم" و كان ذلك عام ١٩٢١م و لقد تأخر سنتين عن مواصلة الدراسة بسبب الثورة المصرية الكبرى و اغلاق المدرسة فى تلك الاوضاع.

والتحق بكلية دارالعلوم عام ١٩٣٠م و تخرج منها عام ١٩٣٣م حاصلا على شهادة الليسانس فى الآداب مع دبلوم فى التربية . و كان خلال دراسته فى دارالعلوم من الطلاب البارزين المتفوقين ويشهد لذلك استاذة الدكتور محمد مهدى علام فى مقدمة كتابه 'مهمة الشاعر فى الحياة' حيث يقول:

"إنى اعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دارالعلوم و اذا قلت دارالعلوم

فقد عنيت دارالحكمة والادب“ ١ .

و نلاحظ حين التتبع أن سيد قطب خلال هذه الفترة لم يكن متفوقا في
الدراسة فقط بل كان ذا مستوى رفيعة في النشاطات الادبية و الخطابية
والاجتماعية .

وظائف الحكومية:

تخرج سيد قطب عن دارالعلوم عام ١٩٣٣م و كان عمره آنذاك ٢٧
سنة و دخل في مهنة التدريس الابتدائية بدمياط ثم حلوان ، و لم يكن
منصرفا إلى مهنة فحسب بل كانت له نشاطات و كتابات ادبيه و شعرية ثم
انصرف كليا إلى الصحافة فكان يكتب في بعض الصحف كموظف رسمي و
في بعضها دون عمل رسمي . و كانت الصحف الشهيرة في ذلك الوقت مثل
الاهرام والاسبوع و الرسالة و الشرق الجيد تنشر كتاباته .

ثم انتقل إلى وزارة المعارف موظفا من سنة ١٩٤٠م إلى ١٩٤٨م و
توظف فيها كمفتش تعليمي ثم مدير مكتب لطف حسين و كان مستشارا في
الوزارة .

و في عام ١٩٤٨م أرسلته الوزارة إلى الولايات المتحدة الامريكية و
كانت ذلك نقطة تحول لحياته الفكرية قد تركت هذه الرحلة بصمات
عريقة على لوحات قلبه و صفائح ذهنه .

فيقول د/ فهد الرومي :

”و كانت رحلته ذلك إلى امريكا نقطة تحول لحياته الفكرية حيث لم
يكن ارساله اليها للدراسة و للحصول على شهادة عالية كما يحسب بعض
من كتب عنه و إنما كانت رحلة عملية ميدانية يقوم فيها بزيارة الجامعات و
المعاهد العلمية في امريكا و يطلع على مناهجها التعليمية ليعود لينطبقها

على مناهج التعليم فى بلاده . و لذا كانت رحلته تلك ذات مدة مفتوحة و كان امر انهاء بيده و تنتهى بانتهاء دراسته الميدانية“ ١ .
إلا ان الدكتور الرومى لقد استدرك الحقيقة و قال :

”فالا هم من هذا كله ان رحلته تلك ليست -حقا- للاطلاع على تلك المناهج و انما كانت للتخلص من سيد قطب و آرائه التى كان يطالب بها و يلح عليها . فإن سيد قطب لم يوافق على الرحلة إلا بعد ان منع من الكتابة فى الصحف و اغلقت مجلة ’الفكر الجديد‘ فلم يجد بدا من السفر“ ٢ .
و قد قضى سيد قطب عامين فى أمريكا يدرس المناهج و التيارات الفكرية السائدة هناك و يلاحظ أحوال المجتمع الأمريكى و مايعانيه من فساد و خلل و اضطراب . فعاد بغير الفكرة التى ذهب بها و بغير القلب الذى ذهب به عاد و قد تبين له جليا مزية الدين الاسلامى و تفوقه على المذاهب الفكرية المعاصرة .

فلما عاد خيب ظن الذين بعثوه و كانوا يظنونه سيخدم الديمقراطية الغربية و الرأسمالية السائدة . و لكن حين ألف بعد عودته كتابه ”امريكا التى رأيت“ امتلأت الدنيا بالضجة و الصرقة حتى وزارة المعارف آنذاك لم تسمح لهذا الكتاب بحقوق النشر و بالتالى لم تنشر من هذا لكتاب إلا ثلاث حلقات و قام بنشرها مجلة ’الرسالة‘ .

سيد قطب و الاخوان المسلمون

لاريب فى ان انضمام سيد قطب إلى الجماعة يعتبر ميلادا جديدا بالنسبة له و يردد دائما .

”لقد ولدت عام ١٩٥١م و هو تاريخ انضمامه إليهم“ ٣ .

-
- ١- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومى ص ٩٩٠
”
٢- المرجع السابق
”
٣- ٩٩١

وتفسير هذا الميلاد يرجع إلى تاريخ عودته من أمريكا - حيث عاد كما ابلغت - بالفكر الاسلامى و بالعقيدة الاسلامية و بالنفور من الافكار العلمانية وجعل يكتب و يتحدث عن فساد المجتمع الغربى وافكاره و اصبح دأبه فى كل مجلس و فى كل مقال ملفوظا او مكتوباً.

ثم خطرت بباله فكرة تنظيم الشباب ليخرج بالفكرة الاسلامى إلى الانسانية جمعاء . و كانت جماعة الإخوان المسلمين حينذاك تعاني من المحن و الشدائد . فكان بتوفيق الله ان سيد قطب قد تعرف بهذه الجماعة فأعجب بها و انتظم فى سلكها عام ١٩٥١ م. بعد الالتحاق بالجماعة أهدى لها اول كتابه فى الفكر الاسلامى و هو "العدالة الاجتماعية فى الاسلام" و قال حين اهدائه :

"إلى الفتية الذين كنت المحمهم بعين الخيال قادمين فوجدتهم فى واقع الحياة قائمين". ١ .

و فى عام ١٩٥٢ م بعد خروج أعضاء الجماعة من السجن اختير سيد قطب عضواً فى مكتب الارشاد لجماعة الإخوان المسلمين و رئيساً لقسم نشر الدعوة فى المركز العام للجماعة.

و فى عام ١٩٥٣ م سافر إلى دمشق ممثلاً للجنة حلقة الدراسات الاجتماعية المصرية فى مؤتمر لحلقة الدراسات الاجتماعية. و نفس العام تمت له زيارة مدينة القدس ممثلاً للجماعة فى المؤتمر الاسلامى الشعبى.

و فى عام ١٩٥٤ م عين رئيساً لتحرير جريدة الإخوان المسلمين و من نفس العام بدأت له المحن المتتالية و الشدائد المتعاقبة و بدأت السجنون تعمر به فحينما يعيش فى السجن للمكابدة و حينما فى المستشفى العسكرى للمعالجة.

" و فى صحيفة يوم ٢٩ آب (اغسطس) عام ١٩٦٦ م سيق العالم

الربانى والداعية الى ساحة الاستشهاد فلقى الله مع صحبه راضيا مرضيا
ليضيف صفحة مشرقة إلى ملحمة الجهاد والاستشهاد على ارض الكنانة و
ما من ذنب لهم الا ان يقولوا ربنا الله و ان يدعوا الامة ان تعود الى دينها
لتستأنف مسيرة الخير و البر والرحمة فى حياة اسلامية جديدة وازفة و
تشريع ربانى عادل قويم“ ١.

يقول الشيخ زين العابدين الركابى :

”و كان من بين الناس الذين يهتفون روما: ياسيد لا تفجعنا فى نفسك
فالاسلام يريدك حيا لان الدعاة الأيقاظ نادرة فى هذا العصر و لان العمل
الاسلامى سيفقد فيك رجلا غير عادى من فكره و خلوص جهاده و
ثباته و قدراته على الحركة و العمل و شدة بأسه على خصوم الاسلام فى كل
المعسكرات“ ٢.

ص ٤١

ص ١٠

١- رُئد الفكر الاسلامى المعاصر

٢- من مقدمة الكتاب ”معركتنا مع اليهود“ للسيد قطب

الفصل الثاني

في أعماله الأدبية

اعماله الأدبية

بعد التأمل فى سيرته الذاتية يتبين ان سيد قطب قد بدء حياته الأدبية فى اثناء حياته الدراسية فى دارالعلوم حيث كانت له نشاطات ادبية فى الندوات والمحاضرات . إلا ان باكورة اعماله المطوية التى تم العثور عليها بعد الفحص والتحقيق هى ذات عنوان "العالم يجرى" وقد نشر هذا المقال فى العدد ١٧ من مجلة 'الرسالة' وذلك فى عام ١٩٣٣ م .

و فى خلال هذه الفترة نجده يشارك فى الصالونات الادبية و المعارك القلمية التى كانت تجرى بين اصحاب العقاد و اصحاب الرافعى و كان يدافع سيد قطب عن العقاد ويشن الهجوم على الرافعى .

ثم ان سيد قطب لم يقيد نفسه فى ميدان من ميادين الادب بل كان متجولا فى جميع الميادين فما ترك مضمارا الا وله فيه جولة .

ونلاحظ عند التأمل فى اسلوبه الادبى انه تائر بادباء عصره المعروفين من امثال الرافعى والعقاد و طه حسين . وكان هذا التائر إلى مدة محدودة الى ان جمع مزايا هؤلاء الثلاثة و خرج الى منصة الادب متفوقا على هؤلاء الثلاثة مصطحبا معه ميزات اساليب هؤلاء إلى ان قال عنه العقاد:

"سيكون سيد قطب اعظم كاتب و اديب بين المعاصرين" . ١ .

وقد مدح يوسف العظم اسلوبه الادبى الممتاز قائلا:

" ولم يكن اسلوب استاذنا بالمتكلف المعقد الذى يبحث عن حواشى اللفظ غريب المعنى مايكديه الذهن و يجهد به التفكير و لا بالاسلوب السطحى الذى يجمع سوقى الكلم عامى العبارة مما يحشر فى

اعمدة الصحف بلغة اقرب الى لغة عامة بل كان قرآنى الجملة و الروح
ايمانى الايحاء و المعنى حتى جاءت كتابته فكرا عميقا باسلوب ادبى أخذ
و ادبار فيعا نابعا من فكر مستنير و علم غزير و ثقافة واعية“ ١ .
و فى هذا الفصل سنركز اهتمامنا بوجه خاص على القصص الثلاثة
التي كتبها سيد قطب والتي هى خير شاهد على قوته البيانية وقدرته الادبية
وبراعته الاسلوبية كما انها تمثل جانبا من الجوانب الادبية الهامة .

الاولى :	طفل من القرية	تمثل الواقعية
الثانية:	اشواك	تمثل الرومانسية
الثالثة:	المدينة المسحورة	تمثل الرمزية

اما طفل من القرية فهى قصة حياته التي تتضمن ايامه الدراسية فى
كتاب القرية. و الموضوع الرئيسى لهذه القصة هو اصلاح عادات الناس
فهو يقول فى مقدمتها :

” و فى تسجيله هنا يطلع الجيل الجديد على صور من الريف القومى
بخيرها و بشرها لعل لهم رايا فيها ينبغى ان يبقى منها و ما ينبغى ان
يزول“ ٢ .

و نلاحظ فى هذه القصة مايلى :

اسلوبه فى هذه القصة يتصف بالسخرية و التهكم والتكرار
والاستطراد. لانجد فيها بطلا تجرى الحوادث حوله و انما نجد سيد قطب
يقص تلك الحوادث والصور على لسان طفل صغير و يستخدم له ضمير
الغائب و اكثرها فى اسلوب تقريرى .

و لقد تاثر سيد فى هذه القصة باسلوب طه حسين و قد اشار الى هذا

الجانب يوسف العظم ٣ .

اما قصة اشواك فهى تعبر عن حب ظهور صاف كان مصيره الاخفاق

١ ص ٧٥

٢ ص ٨٤

”

١- رائد الفكر الاسلامى المعاصر

٢- المرجع السابق

٣- ”

والعزلة والفراق قد ابرز هذه النقطة سيد قطب فى مقدمة هذه القصة "الى التى خاضت معى فى الاشواك قدميت و دميت و شقيت و شقيت ثم سارت فى طريق و سرت فى طريق جريحين بعد المعركة لانفسها الى قرار و لا نفيس الى استقرار".

فهى تجربة حقيقية عاشها سيد قطب فى حياته الخاصة .

و فى هذه القصة نرى سيد قطب يحرص على تتبع الخلجات النفسية

فهى حافلة بالصور النفسية الباطنة والخلجات القلبية الضامرة .

وقد يبدو لمتأمل ان هناك تشابه بين 'اشواك' لسيد قطب و 'سارة'

للعقاد . فالقستان على ما يتضح من سياقهما مستمدتان من حياة كاتبهما

موضوع كل منهما يكاد يكون واحدا . وفى بداية الامر يبدو ان الاستاذ

سيد قطب قد نقل من الاستاذ العقاد كثيرا الا ان بعد امعان النظر يتبلور ان

لكل منهما فى الكتابة و فى معالجة تجارب الحياة التى عرضت لها طريقة

خاصة .

و من الملاحظ ان سيد قطب عند كتابة هذه القصة لقد اتبع كثيرا

الاساليب القرآنية فمثلاً يقول : "ثارت العاصفة وانقلب البيت كله على

الفتاة وانتدبت هى من وجوههم مكانا قصيا". و اما القصة الثالثة 'المدينة

المسحورة' فهى تدور حول فكرة "إن الحياة بلا خيال نوع من التجحر و

العيش بلا احلام حيوانية بليدة".

و يرى يوسف العظم ان القرآن الكريم و على وجه التحديد سورة

الكهف قد اثرت كثيرا على هذه القصة و لذا نلاحظ ان الحياة فى المدينة

انجمدت و وقفت الحركه مئات السنين كما وقع فى زمن اصحاب

الكهف . ١

و فى مستهل هذه القصة يصور لنا سيد قطب حال شهر يار فى تسع و

تسعين ليلة التي قضاها في عالم الواقع بعيدا عن عالم الخيال و الاحلام الذى خلقه شهرزاد عندما صدر لها الاذن للاستراحة فى القصر بعد الف ليلة و ليلة.

إلى جانب هذه القصص الثلاث صدرت لسيد قطب بالاشتراك مع 'عبد الحميد جودة' الحلقة الاولى من القصص الدينية للاطفال تحت عنوان "قصص الانبياء" وكان الهدف من هذه القصص تحقيق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية و ينمى الذوق الادبى. كما اشار الاستاذ سيد قطب فى مقدمة هذا الكتاب. و علاوة على ذلك اشترك سيد قطب مع اخيه و اخواته فى كتابه "الاطياف الاربعة" واشترك كذلك مع أمينة السعيد و يوسف المراد فى تأليف الكتاب "روضه الطفل".

آثاره فى النقد

لايكتمل الحديث عن النقد الادبى فى العصر الحديث بدون ذكر ما كتبه سيد قطب فى هذا المجال فقد الف سيد قطب اربعة من الكتب المتكاملة للموضوع الموحدة الفكرة و المنهج فى مجال النقد والاستعراض . وهذه كلها بمثابة معالم فى طريق النقد. فعناوين هذه الكتب ما يلى:

١ . مهمة الشاعر فى الحياة بشعر الجيل الحاضر .

٢ . نقد مستقبل الثقافة فى مصر .

٣ . كتب و شخصيات .

٤ . النقد الادبى اصوله و منهجه .

الكتاب الاخير يتناول موضوع النقد بصورة كاملة فى مجال النقد مع ذكر اصوله و مناهجه فهو ينم عن قمة النضج عند المؤلف . يقول يوسف النجم :

”انه من النقاد العصاميين الذين شقوا طريقهم بانفسهم دون الاعتماد

على النقاد الغربيين كما فعل اكثر النقاد فى النهضة الحديثة“ . ١

فكاتب آخر اسمه رجاء النقاش يثنى على هذا الكتاب قائلاً:

”و كان ناقدا بصيرا بالتراث العربى و بروح العصر“ . ٢

و فى الحقيقية كان سيد يؤمن بأن النقد بمثابة ضريبة يؤديها الناقد ببذل جهوده و بصرف وقته .

و فيما يتعلق بوظيفة النقد عند سيد قطب فهى ” تقويم العمل الادبى و

بينان قيمته الموضوعية و قيمه التعبيرية و الشعورية“ . ٣

١-	الادب الغربى فى آثار الدارسين	للدكتور يوسف النجم	ص ٣٦٢
٢-	صفحات مجهولة فى الادب العربى المعاصر	لرجاء النقاش	ص ٢٦
٣-	النقد الادبى اصوله و منهجه	لسيد قطب	ص ٥

و كان يرى سيد قطب ان الجانب الموضوعى و الجانب الفنى فى العمل الادبى امران متلازمان و متلاصقان .

فى ضمن حديثى عن سيد قطب كناقد ادبى اود ان انقل بعض المقتطفات من كتابه الاخير الشهير فى هذا المجال و هو 'النقد الادبى'.....، و ذلك لان هذه المقتطفات تحدد موقف سيد من الادب و الاديب .
فيقول سيد قطب عن خصائص الاديب الذاتية :

”اذ ليس المطلوب من الاديب ان يقول كلاما كيفما اتفق و لكن المطلوب ان يكون له ميسم ذاتى و طابع شخصى يدمغ به كل عمل يخرج من بين يديه فيلمسه القارى فى كل اعماله“ . ١

و يقول: ”الاديب رائد من رواد البشرية يسبق خطاها لينير لها طريقه و هو رسول الحياة الى الآخرين الذين لم يمنحوا حق الاتصال“ . ٢
و فى مكان آخر يوضح اهمية الصدق فى الادب قائلا:

”الصدق شئى فى ضمير الاديب لا نملك حق الاطلاع عليه و لكننا نستطيع ادراكه فى عمله من خلال التعبير بان ينتظم العمل الادبى جوا شعوريا و احدا لا اضطراب فيه و لاتزوير“ . ٣

”وظيفة الادب حينئذ أن يهياً للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمع لها بأن تسع أكبر شحنتها من الصور و الظلال و الايقاع و أن يتناسق ظلالها و ايقاعاتها مع الجو الشعورى الذى يريد أن يرسفه و الا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية فحسب“ . ٤

١-	النقد الادبى	لسيد قطب	ص ٢٤
٢-	المرجع السابق	”	ص ٢٩
٣-	”	”	”
٤-	”	”	ص ٤٣

انتاجاته الشعرية

كان سيد قطب من الشعراء المطبوعين. الا انه لم يلتفت الى هذا الجانب من قريحته بسبب انضمامه فى القضايا الفكرية و مع ذلك انه خلف وراءه دواوين عديدة و منها "الشاطىء المجهول" و "قافلة الرقيق" و "حلم الفجر".

ومن هذه الدواوين الثلاثة لم يطبع الا واحد و هو 'الشاطىء المجهول' ١.

و الموضوعات التى تسيطر على شعره هى : التمويه والشكوى و الحنين والتأمل والغزل والوصف والرثاء والوطنيات بوجه عام . و من الجدير بالذكر الملاحظة هنا ان الرثاء قد نال قدرا ضئيلا من شعره لان ابياته تقدم صورة فعلية للحياة الانسانية فى الوقت الحاضر كما فى تصور احساسيس و مشاعر الشباب الممزق الذى تداعبه آماله و طموحه و يرده واقع الحياة خائبا خاسرا فيسقط فريسة الضياع و التمرد والشكوى و يبحث عن نفسه هنا وهناك ٢.

و تجدر الاشارة هنا الى ان ديوانه لا يتضمن اية قصيدة المدح او الهجاء و يدل هذا على علو همته و صفاء طبيعته حيث لا يشتغل ذهنه بهذه الاعمال التافهة الساقطة فى نظر الانسانية و يبرز يوسف العظم ميزات شعره قائلًا:

” ان الطابع الذى يطبع شعر سيد قطب فى شبابه هو الانسانية بكل ابعادها الخيرة و اعطائها الوفير بل بكل جوانب المسرة فيها والالم والشك و اليقين. فقد كان دائم التساؤل والتفكر عن 'النفس الضائعة' و 'الغد المجهول' و

ص ١٠٣

١- كتاب رائد الفكر الاسلامى المعاصر

ص ١٦

٢- مقدمة ديون سيد قطب عبد الباقي محمد حسين

١. 'الحياة الغالية'

و من جانب آخر يمدح عبدالباقى محمد حسين فى مقدمة ديوان سيد

قطب قائلًا:

”يتبين للناقد ان الشاعر فى الديوان يقف موقف المصور فى كثير من

القصائد حتى لا تكاد تخلو قصيدة عن تصوير و هو مصدر حسى فى

بعض الاحيان“٢.

ص ١٠٤

١- رائد الفكر الاسلامى المعاصر

ص ٣٤

٢- مقدمة ديوان سيد قطب ترتيب: عبدالباقى محمد حسين

الفصل الثالث

آثاره في الفكر الإسلامي

آثاره فى الفكر الإسلامى

تشتمل اعمال سيد قطب الفكرية على مراحل زمنية ثلاثة. ١

- ١ . الإسلاميات الفنية و ينطوى على هذا الموضوع كتاباه:
التصوير الفنى فى القرآن و مشاهد القيامة فى القرآن .
- ٢ . الإسلاميات العامة و تحتوى على هذا الموضوع الكتب الثلاثة
التالية:

العدالة الاجتماعية فى الإسلام

معركة الإسلام والرأسمالية

الإسلام العالمى والإسلام

- ٣ . الإسلاميات الحركية الهادفة. والكتب التالية تتضمن هذا
الموضوع:

'هذا الدين' و 'المستقبل لهذا الدين' و 'خصائص التصور الإسلامى و مقوماته' و 'الإسلام و مشكلات الحضارة' و 'معالم فى الطريق' و 'فى ظلال القرآن'.

و ان هذه الطائفة الاخيرة من كتبه تحتل مكان الصدارة فلا يمكن لاحد الاستغناء عنها .

اما تفسيره 'فى ظلال القرآن' فهو تفسير ذو اهمية كبرى حيث تتضمن تفسيره آراء و افكار جديدة هامة و بمناسبة هذا المكان اود ان اذكر بعض الميزات لمدرسة سيد قطب الفكرية استخدم هنا كلمة مدرسة لاننى ارى و يرى معى الكثيرون ان سيد قطب قد كون بنفسه مدرسة فكرية منهجية و لاتزال هذه المدرسة تواصل مسيرها .

١- اعتمدت فى هذا التقسيم على كتاب يوسف العظم و هو 'رائد الفكر الإسلامى المعاصر'.

١. و من اهم الميزات لهذا المدرسة "الجديية" التي تظهر فى اعتماده الكلى على القرآن والسنة المطهرة كمصدر للبحث و الدراسة باسلوب عذب و وعى عميق .
٢. و ميزة هذه المدرسة الثانية اسلوبه الخاص الذى يتصف باسلوب الداعية و حرارته و صوته لا باسلوب فيلسوف تقل عبارته رونقا و بهاء ا. فاسلوبه يمتاز بالاشراق البيانى وجمال التعبير وسهولته و يعتمد فيه على اللفظة المفردة و على الترادف الذى بنوع المعنى ولا يكرره كما يمتاز بالتشخيص و اداء المعانى فى صورة حرورية .
٣. الميزة الثالثة تتلخص فى تاثره باسلوب القرآن العظيم وبفضل هذه الميزة كان سيد قطب يقدر على نقل المعانى فى صورة بارزة واضحة و هو لا يعتمد بوجه عام على استعمال المصطلحات الفنية والعلمية المعقدة.
٤. والميزة الرابعة تتعلق بتذوقه الخاص بالحقيقة .فهو يتمثلها ثم يصوغها بعبارة رشيقة و بيان أدبى يتسرب الى القلوب دون عناء او كلل.
٥. والميزة الخامسة تنم عن انه يضع رجلا مسلما فى مناخ قرآنى يشم عبره و يستروح نسمااته.
٦. الميزة السادسة تتلخص فى ان شخصية سيد قطب تتمحور كرائد لكتاب الاتجاه الاسلامى المعاصرين الذين بذلوا جهدا جهيدا لتدعيم هذا الاتجاه .
٧. الميزة السابعة تتركز على ان سيد قطب يكتب فى الفكر الاسلامى و هو مؤمن بان الاسلام هو النهج السديد للبشرية جمعاء الشامل للحياة كلها عقيدة و عبادة و منهاجا و شريعة.

الباب الثالث

”في ظلال القرآن“ - دراسة تحليلية

مبدء البحث

يقول العلامة الزرقانى : التفسير تفسيران :

احدهما: "تفسير جاف لايتجاوز حل الالفاظ و إعراب الجمل و بيان مايتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية و إشارات فنية ، وهذا النوع اقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير." ١

النوع الثانى :

"تفسير يجاوز هذه الحدود و يجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن و تعاليم القرآن و حكمة الله فيماشرع للناس فى هذا القرآن على وجه يجذب الارواح و يفتح القلوب و يدفع النفوس إلى الاهتداء يهدى الله. وهذا هو الخلق باسم التفسير." ٢

و فى ضوء هذاالبيان الموجز يمكن أن نضع "فى ظلال القرآن" فى عداد كتب التفسير التى ينطبق عليها النوع الثانى للتفسير وهذا واضح من كلمات.

ص ٨
”

المجلد الثانى
”

للزرقانى
”

مناهل العرفان
”

-١
-٢

الفصل الأول

ماذا يقول المفسر والآخرين عن التفسير

يقول الاستاذ سيد قطب التالية فى مقدمة تفسيره :

”وبعد فقد يرى فريق من قراء هذه ”الظلال“ انها لون من تفسير القرآن . و قد يرى فريق آخر انها عرض لمبادئ العامة للإسلام كما جاء بها القرآن . و قد يرى فريق ثالث أنها محاولة لشرح ذلك الدستور الالهى فى الحياة و المجتمع و بيان الحكمة فى ذلك الدستور .. أما أنا فلم اتعمد شيئا من هذا كله، و ما جاوزت ان اسجل خواطرى ، و أنا احيا فى تلك الظلال :

كل ما حاولته أن لا اغرق نفسى فى بحوث لغوية او كلامية او فقهية تحجب القرآن عن روحى و تحجب روحى عن القرآن ، و ما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآنى ذاته، من خاطرة روحية او اجتماعية او انسانية ، و ما احفل القرآن بهذه الايحاءات . كذلك حاولت ان ابرعما خالج نفسى من احساس بالجمال الفنى العجيب فى هذا الكتاب المعجز، و من شعور بالتناسق فى التعبير و التصوير .

و لقد كانت هذى إحدى امانى أن فرغت من كتاب ”التصوير الفنى فى القرآن“ قبل ثمانية اعوام، سجلت فيه ما بدأ لى واضحا يومذاك: إن التصوير هو القاعدة الواضحة فى التعبير القرآنى الجميل .. و كنت قد اردت الكتاب كله على هذا المحور لشرح هذه القاعدة والتمثيل لها من القرآن، كانت إحدى امانى ”ان يوفقنى الله إلى عرض القرآن فى هذا الضوء.. ثم كمنت هذه الرغبة او توارت، حتى ظهرت مرة اخرى فى هذه الظلال“ . ١

تجدد الاشارة هذه إلى أن الاستاذ سيد قطب قبل ان يخوض فى هذا التفسير لم يكن يستهدف إلا كتابة تفسير فقط . وقد أشار إلى هذا الجانب

فى كتابه "مشاهد القيامة فى القرآن" (١) الذى ألفها قبل كتابة تفسيره الذى نحن بصدد ذكره .

ماذا يقول الآخرون

ويقول الاستاذ محمد قطب وقد امتاز اللثام عن هذا الجانب قائلاً:

"فى ظلال القرآن" الكتاب الذى عاشه صاحبه بروحه و فكره و شعوره و
كيانه كله و عاشه لحظة لحظة و فكرة فكرة و لفظة لفظة و اودعه خلاصة
تجربته الحية فى عالم الإيمان". ٢ .

وقد أدرك عالم آخر و هو مناع القطان هذه النكتة فى ظلال القرآن و
ابرزها فى كتابه "مباحث فى علوم القرآن" قائلاً:

"وبرز من رجال هذه الجماعة العالم الفذ و المفكر الألمعى الشهيد سيد قطب
الذى فلسف الفكر الاسلامى و كشف عن مفاهيمه الصحيحة فى وضوح و
جلاء و قد لقي الرجل ربه شهيداً فى سبيل عقيدته و ترك تراثه الفكرى و فى
مقدمته كتابه فى تفسير القرآن المسمى فى ظلال القرآن.
و الكتاب تفسير كامل للحياة فى ضوء القرآن و هدى الاسلام عاش مؤلفه فى
ظلال الذكر الحكيم كما نفهم من تسميته . و يتذوق حلاوة القرآن و يعبر عن
مشاعره تعبيراً صادقاً...

و هو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لا يستغنى عنها المسلم المعاصر". ٣ .
ويقول السيد حامد على وهو عالم و داعية همدى و قد أشار إلى
هذا الجانب فى حين قام بنقل فى ظلال القرآن إلى اللغة الأردنية.
"بناء على علم المترجم و اعتقاده فإن التفسير فى ظلال القرآن تفسير من

١- مشاهد القيامة
٢- فى ظلال القرآن (الطبعة - ١١) المجلد الاول
٣- مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان
ص ١٠
ص ٩
ص ٣٢٥-٣٢٦

نوعه لا يوجد مثيله في العربية فضلا عن ان يكون في الاردوية . هو تفسير
علمي و فكري تفسير دعوى و تربوي، تفسير حركي وادبي ، هو افضل
تفسير لفهم معاني القرآن و تنمية مواهب الفهم القرآني “ ١ .

الفصل الثاني

رؤية سيد إلى الإنسان والكون

رؤية سيد إلى الإنسان و الكون

موضوع العلاقة بين الإنسان و الكون و بينهما و بين الله تحمل أهمية كبرى و مكانة عظيمة فى تفسير سيد قطب بل فى اكثر مؤلفاته. و قد تحدث سيد قطب عن هذا الموضوع فى الاماكن المختلفة لكتاباتة شرحا و اجمالا . فالكون عنده اكبر من تصور الإنسان و اضخم من أن يحيط به العلم الإنسانى كما يتبلور من كلماته التالية . فهو يقول :

”ثم يكشف للإنسان عن وضعه الحقيقى فى هذا الكون الكبير و عن ضالته بالقياس إلى بعض خلق الله الذى يراه الناس و يدركون ضخامته بمجرد الرؤية ، ويزيدون شعورا به حين يعلمون حقيقته ((لخلق السموات و الارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون)) و السموات و الارض معروضتان للإنسان يراهما و يستطيع ان يقيس نفسه اليها و لكنه حين ‘يعلم’ حقيقة النسب و الأبعاد و حقيقة الاحجام و القوى يظأ من كبريائه و يتصاغر و يتضاءل حتى يكاد يذوب من الشعوب بالضالة“ ١ .

لوجود عنده قسمان : قسم يعلمه البشر و هو صغير جدا بالنسبة لما لا يعلمه و مع ذلك لا يمكن لتصوره و عقله ان يصل إليه بدون مشقة و عناء و لا ينكشف هذا القسم للوجود إلا عن طريق التدبر فى القرآن الكريم . وقد أشار سيد قطب إلى هذا الجانب قائلا :

”عشت فى ظلال القرآن ارى الوجود اكبر بكثير من ظاهره المشهود الاكبر فى حقيقته و اكبر فى تعدد جوانبه . انه عالم الغيب و الشهادة لا عالم الشهادة وحده . و انه الدنيا و الآخرة لاهذه الدنيا وحدها . و النشأة الإنسانية ممتدة فى

استعاب هذا المدى المتطاوّل . والموت ليس نصيبه كله انما هو قسط من

ذلك النصيب“ ١ .

ثم إن هذا الكون الكبير والوجود الهائل مع كبره و ضخامته تابع
لمشيئة الله وإرادته ولايحيل كونه كبيراً جداً ان يتصرف فيه قدرته الالهية
المطلقة . و قد ادرك سيد قطب هذه الحقيقة عن طريق القرآن الكريم و
وصل إلى النتيجة :

”إن الإنسان الضعيف في ذاته شاءت مشيئة الله ان يكون سيّداً و ان
يكون له الدور الاول و المكانة العظمى في هذا الكون العظيم فهو
”مستخلف في الأرض“ ”مالك لما فيه“ و ”مؤثر فيه“ وهو ”الكائن الاعلى
في هذا الملك العريض“ و هو ”السيد الاعلى في هذا الميراث الواسع“ .
في سياق قصة آدم المذكورة في سورة البقرة يوضح سيد قطب هذه
النقطة قائلاً :

”إن ابرز ايحاءات قصة آدم كما وردت في هذا الموضوع هو القيمة الكبرى
التي يعطيها التصور الإسلامي للإنسان و لدوره في الارض و لمكانه في نظام
الوجود و للقيم التي يوزن بها ثم لحقيقة ارتباطه بعهد الله و حقيقة هذا العهد
الذي قامت خلافته على اساسه .

و من هذه النظرة للإنسان تنبثق جملة اعتبارات ذات قيمة كبيرة في عالم
التصور و في عالم التصور على سواء .

و اول اعتبار من هذا الاعتبار هو ان الانسان سيد هذه الارض و من اجله
خلق كل شئ فيها . كما تقدم ذلك نصاً . فهو اذاً اعز و اكرم و اعلى من كل
شئ مادي و من كل قيمة مادية في هذه الارض جميعاً . والاعتبار الثاني هو
أن دور الإنسان في الارض هو الدور الاول فهو الذي يغير و يبديل في اشكالها

و فى ارتباطاتها و هو الذى يقود اتجاهاتها و رحلاتها و ليست وسائل الانتاج

و لا توزيع الانتاج“ ١ .

فالحديث عن اهمية الوجود الإنسانى يحمل طابعا خاصا فى تفسير سيد قطب . فالإنسان عنده فى حقيقة الأمر ليس بهيمة و لا ملكا . له حقيقة مستقلة تندمج فيها المميزات الحيوانية و المميزات الملكية . و لا تكتمل وجود الإنسان حتى تجمع فيه هذه المميزات كلها و قد القى سيد قطب الضوء على هذا الجانب قائلا :

”التوازن بين خصائص العناصر الطيبة فيه و العناصر العلية هو الافق الاعلى

الذى يطلب اليه ان يبلغه و هو الكمال البشرى المقدر له . فليس مطلوبا منه ان

يتخلى عن طبيعة احد عنصره مطالبه ليكون ملكا او ليكون حيوانا و ليس

واحدا منها الكمال المنشود للإنسان“ ٢ .

عند سيد قطب ثمة خلاف فى معنى الجمال بين الطابع الحيوانى و الطابع البشرى و ذلك لأن معايير الجمال تختلف كثيرا بين الحيوان و الإنسان و قد أشار سيد قطب إلى هذا الأمر قائلا :

” لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامى و طهر احساسه بالجمال . فلم

يعد الطابع الحيوانى للجمال هو المستحب بل الطابع الانسانى المهذب ... و

جمال الكشف الجسدى جمال حيوانى يهفوا اليه الإنسان بحس الحيوان

مهما يكن من التناسق و الإكتمال . فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف

الذى يرفع الذوق الجمالى و يجعله لائقا بالإنسان و يحيطه بالنظافة و الطهارة

فى الحس و الخيال“ ٣ .

فى حين تبين هذا كله فهناك سؤال يتعلق بموقف الإنسان تجاه قوى الكائنات . هل هذا الموقف يتسم بالعداوة ام بالوحشة ام هو يتصف الأنس و

ص ٧١-٧٢

الجزء الاول

فى ظلال القرآن

-١

ص ٢٢

الجزء ١٤

”

-٢

ص ٩٦

الجزء ١٨

”

-٣

المودة يجيب سيد قطب على هذا السؤال قائلاً:

”أما القوى الطبيعية: فموقف المسلم منها موقف التصرف والصدقة لا موقف
التخوف والعداء . ذلك ان قوة الإنسان و قوة الطبيعة صادرتان عن ارادة الله
و مشيئته محكومتان بإرادة الله و مشيئته متناسقتان في الحركة والاتجاه“ . ١

الفصل الثالث

الاسلام كما يفهمه سيد قطب

الإسلام كما يفهمه سيد قطب

إن المصطلحات الأساسية كالدين والإسلام تحتل مكانة كبرى فى تفسير سيد قطب. ولما كان التحرك كامنا فى طبيعته و سعة الافق مخفيا فى فكرته اتخذ الإسلام ديناً حركياً انقلابياً يرشد الإنسان فى جميع مجالات الحياة. و فى التفسير الذى نحن بصدده اراد سيد قطب أن يوضح حقيقة الدين الأصيل لتنور الحياة والروح و ان يبين ما يحمله القرآن من الفوائد الجممة لحياة الإنسان كله. فلا يقتصر سيد قطب على الأفكار الضيقة التى تبعد اولاد آدم عن الروح الثورى القرآنى. فيقول فى مكان موضحاً حقيقة الدين الأصيل:

”إن الدين هو النظام الذى قدره الله للحياة البشرية بجملتها و المنهج الذى يشيد عليه نشاط الحياة برمتها. والله وحده هو صاحب الحق فى وضع هذا المنهج بلاشريك. والدين هو الإلتباع والطاعة للقيادة الربانية التى لها وحدها حق الطاعة و الإلتباع و منها وحدها يكون التلقى و لها وحدها يكون الاستسلام“^١.

ولايعنى ذلك أن الأستاذ سيد قطب كان وحيداً او منفرداً فى مثل هذا القول و لم يأت احد آخر بمثل هذا الرأى. ولا ريب فى أن عديداً من المفسرين المتقدمين والمتأخرين قد طرحوا هذه الفكرة أو مثلها على الناس إلا أن ما يميز سيد قطب و جماعته من الآخرين هو أنه اوضح هذه الفكرة لغاية من الوضوح حيث لم يترك فيها أى ابهام او اجمال او غموض. و دعا واقع المسلمين إلى ذلك لأنهم قد حصرو الدين فى حياتهم الخاصة كما

حدوده فى مجالات ضيقة و جنوا على الدين بتضييقه فى المسجد. فردا على مثل هذا المفهوم الخاطى للدين يشير الأستاذ سيد قطب إلى التعبير القرآنى العميق الدقيق المذكور فى سورة يوسف و يقول لدى تفسير آية ((كذلك كدنا ليوسف ... ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك))

”إن هذا انص يحدد مدلول كلمة ”الدين“ فى هذا الموضع تحديدا دقيقا. إنه يعنى نظام الملك و شرعه فإن نظام الملك و شرعه ما كان يجعل عقوبة السارق هو اخذه فى جزاء سرقة . انما هذا كان نظام يعقوب و شريعة دينه . و قد ارتضى اخوة يوسف بحكم نظامهم و شريعتهم فطبقها يوسف عليهم عند ما وجد سواع الملك فى رحل اخيه و عبر القرآن الكريم عن النظام و الشريعة بأنها ”الدين“ ١.

اود ان اشير هنا إلى ما اعترض عليه مخاصموه و معارضوه قائلين أن سيد قطب قد يتجاوز الحد فى التوكيد على النقطة المذكورة اعلاه و بالنتيجة هو يعطى للنظام أهمية أكثر من اللازم فى الدين. فهنا لتوضيح موقف الأستاذ من النظام تعدل علينا ان ندرك الدين عبارة عن العقيدة و العبادة و النظام. و لاشك أن الأهمية الكبرى للعقيدة ثم للعبادة ثم للنظام. فالنظام بدون العقيدة و العبادة لا يحمل الإعتبار. فالاساس هو العقيدة ثم تنبثق منها العبادة اعنى العمل و بعد ذلك تأتى مرحلة النظام. لان الإسلام عند الأستاذ هو استسلام مطلق لكتاب الله و احكامه و اتباع رسله الذين جاء و ابنور الله العظيم و مرضات ربنا و المنهيات عنها. و هو يأمر الإنسان بالقضاء على القوة البهيمية لانها يتعارض مع احكام الخالق و لا يقبل الإسلام أدنى رغبة عن الاوامر الالهية فى اى من مجالات الحياة الانسانية. يوضح سيد قطب هذه النقطة قائلا:

”و من ثم يكون الدين الذى يقبله الله من عباده هو ”الاسلام“ و هو فى الحالة:

الاستسلام المطلق للقوامة الالهية و التلقى من هذا لمصدر و حده فى كل شأن من شئون الحياة. و التحاكم إلى كتاب الله المنزل من هذا المصدر . و اتباع الرسل الذين نزل عليهم الكتب و هو فى صميمه كتاب واحد و هو فى صميمه دين واحد.. الاسلام ... بهذا المعنى الواقعى فى ضمائر الناس و واقعهم العملى على السواء و الذى يتلقى عليه كل المؤمنين اتباع الرسل كل فى زمانه. متى كان معنى اسلامه الاعتقاد بوحدة الالوهية و القوامة و الطاعة و الاتباع فى منهج الحياة بلا استثناء“ ١ .

و فى سياق اثار الاستاذ سيد قطب قضية اثر تنحية الاسلام عن قيادة العالم البشرى و وصل إلى النتيجة التالية:

”و لقد كان اثر تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثا هائلا فى تاريخها و نكبة قاصمة فى حياتها، نكبة لم تعرف البشرية فى كل ما ألم بها من نكبات“ ٢ .

ص ١٢٩
ص ٩

الجزء الثالث
الجزء الاول

١- فى ظلال القرآن
٢- مقدمة فى ظلال القرآن

الفصل الرابع

الروح القرآني

الروح القرآني

إن اي إنسان حينما يفسر شيئاً او يقوم بشرح متن ما ، فإن تصوره عن ذلك و كيفية علاقته به ثم شمولية شعوره فيه يؤثر على تفسيره و شرحه .

فالذى يرى القرآن من حيث انه كتاب فريد من نوعه فى الادب والمعانى والبلاغة والاسلوب و فى بيان المسائل ، يرتكز على ذلك الجانب اكثر مما ينبغى . و من رأى بنظرة كلامية فإنه لا يرى فيه إلا المسائل الكلامية و من رأى نصوصه من حيث انه يتحدث عن الطبيعة و ظواهرها فإنه يجد فيه ما يرى . و لذلك نرى عدة تفاسير ألفها اصحابها لبيان فكرتهم الفردية . كما نرى عدداً من التفاسير المتواجدة لدينا من قبل و فى هذا الزمان .

و حين ندرس تفسير "فى ظلال القرآن" فلا بد أن نعرف أن المفسر كيف ينظر إلى القرآن الكريم و ما هو تصوره عنه . فاذا امعنا النظر فى هذا التفسير من هذه الناحية نصل إلى نتيجة أن سيد قطب لا يرى القرآن ككتاب لغة و لا كتاب نحو و لا كتاب قصة او تاريخ و لا كتابا يوضح مسائل الفقه و لا مسائل الكلام و البلاغة: فماذا اذا؟

لمعرفة هذا نعود إلى كلماته التالية:

" كما اتمنى أن اوفق فى الهدف البعيد الذى ارجوه من لواحقه: ذلك الهدف البعيد، هو إعادة عرض القرآن واستحياء الجمال الفى الخالص فيه. وإستنقاذه من ركام التأويل و التعقيد و فرزه من سائر الاغراض الاخرى التى

جاء لها القرآن". ١.

وبناء على هذه الكلمات يمكن لنا القول أن سيد قطب يعتبر القرآن كتاباً حركياً ، كتاباً ذا حياة و نور، كتاباً ذا هداية و رشد و كتاباً يكشف عن

الحقائق و المعارف و بحرا متلاظما لا يفنى عجائبه. و يعتبر أن القرآن هو دستور الحياة لكافة الإنسانية و إنه كتاب يغير الأوضاع السابقة و يبذل الكيان البشرى كله.

و هنا نذكر بعض النصوص من تفسيره التي هي خير شاهد على مانقول و مثل هذه النصوص منتشرة في تفسيره كله تصوغ تفسيره في الطابع واللون الذي يريده. ماذا يريد هو بقراءة القرآن يتجلى من عبارته التالية:

”إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ و أن يتلقى من اجيال الأمة الإسلامية بوعي، و ينبغي أن يتدبر على أنه توجهات حية تنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم و يستنير الطريق إلى المستقبل لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل او على انه سجل لحقيقة مضت و لن تعود... و سنجد عندئذ في القرآن متاعا و حياة و سندرك معنى قوله تعالى ((يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم)) فهي دعوة للحياة... للحياة الدائمة المتجددة. لا لحياة تاريخية محدودة في صفحة عابرة من صفحات التاريخ“.

و هكذا يرى سيد قطب القرآن نورا مبينا يهدي الإنسان في جميع انحاء الحياة و يعين له طريق الحق و يبين الفرق بين الحق و الباطل و المعروف و المنكر و يهدي من له فكرة صالحة و وعى و قلب كما هو يقول:

”و في هذا القرآن نور ((وانزلنا اليكم نورا مبينا)) نور تتجلى تحت اشعته الكاشفة حقائق الاشياء واضحة و يبدو مفرق الطريق بين الحق و الباطل محددًا مرسومًا في داخل النفس و في واقع الحياة سواء حيث تجد النفس من هذا النور ما ينير جوانبها اولا فتري كل شئ فيها و من حوله واضحا حيث

يتلاشى الغبش و ينكشف و حينئذ تبدو الحقيقة بسيطة كالبدية و حيث
يعجب الإنسان من نفسه كيف كان لا يرى هذا الحق و هو بهذا الوضوح و
بهذه البساطة“١.

الفصل الخامس

دراسة منهجه فى التفسير

الإهتمام بدقائق التعبير القرآنى:

سيد قطب فى حين يقوم بتفسير الآيات الربانية يفكر فيها فكرة عميقة حتى يخوض فى الاعماق و يقف على التعابير الدقيقة . و هكذا هو يقدر على الوصول إلى بدائع الكلام الربانى و دقائقه التى لم يصل اليها الآخرون . و فى نهاية المطاف هو يلقي الضوء على النقاط العميقة التى قد مر بها المفسرون الآخرون بدون ادراكها او الالمام بها و امثلة هذه النقاط مبعثرة فى التفسير كله و هنا نكتفى بذكر بعض منها خوفا من التطويل والإطناب .

يقول سبحانه و تعالى ((لا تقتلوا اولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم و اياكم)) و فى مكان آخر يقول نفس الشئى كالتالى ((لا تقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزقكم و اياهم)) هاتان الآيتان لا يختلف بعضهما عن الاخرى فى معانيها الظاهرة . إلا ان سيد قطب بعد التدبر و الفكر العميق جاء بنقطة تبرز الفرق البسيط فى معانى هاتين الآيتين كما هو و اوضح من كلماته التالية :

” ثم نقف هنا لحظة امام مثل من دقائق التعبير القرآنى العجيبة . ففى هذا الموضوع قدم رزق الابناء على رزق الآباء ((نحن نرزقهم و اياكم)) و فى صورة الانعام قدم رزق الآباء على رزق الابناء ((نحن نرزقكم و اياهم)) وذلك بسبب اختلاف آخر فى مدلول النصين فهذا النص ((لا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقهم و اياكم)) و النص الآخر ((و لا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم و اياهم)) هنا قتل الاولاد خشية وقوع الفقر بسبهم فقدم

رزق الاولاد و فى الانعام قتلهم بسبب فقر الآباء فعلا ففقد رزق الآباء . فكان

التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية هنا وهناك“ ١ .

قد وصل سيد قطب إلى هذه النقطة على أساس احساسه الدقيقة و فكرته العميقة و بقدرته الفائقة على فهم مفاهيم القرآن الكامنة و لاتنكشف هذه النقاط الجليلة إلا لمن يتدبر القرآن و بالاستحضار الفكرى و الذهنى و بجميع اعماق القلب و العقل . فنلاحظ قدرته الفائقة و فكرته الدقيقة فى حين يبحث عن المفاهيم القرآنية العميقة اثناء دراسته و تعمقه فى القرآن الكريم و على سبيل المثال فى تفسير الآية ((الذى باركنا حوله)) هو يقول :

”ووصف المسجد الأقصى بأنه ((الذى باركنا حوله)) و صف يرسم البركة

حافة بالمسجد، فائضة عليه، و هو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل: باركنا،

او باركنا فيه، و ذلك من دقائق التعبير القرآنى العجيب“ ٢ .

و كذلك يشير إلى نقطة جليلة هامة فى تفسير آية من سورة النور التى تامر المسلمين ان يستأذنوا رب البيت قبل الدخول . ((يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا او تسلموا على اهلها))

يفسر سيد قطب هذه الآية قائلا :

” و يعبر الاستئذان بالاستئناس . هو تعبير يوحى بلطف الإستئذان و لطف

الطريق الذى يجى بها الطارق، فتحدث فى نفوس اهل البيت انسا به،

واستعدادا لإستباله و هى لفظة دقيقة لطيفة لرعاية احوال النفوس و لتقدير

ظروف الناس فى بيوتهم و مايلابسها من ضرورات لايجوز ان يشقى بها اهلها

و يخرجوا امام الطارقين فى ليل او نهار“ ٣ .

وعلى اساس هذه الامثلة علينا ان نقيس مدى دقة فهم المفسر

للتعبيرات القرآنية الخاصة .

الإهتمام بالتناسق الفنى فى الآيات القرآنية

لقد ابرز سيد قطب فى تفسيره افقا آخر من آفاق البلاغة القرآنية والاسلوب القرآنى وهو التناسق الفنى او الإعجاز الفنى او التصوير الفنى الزاخر فى الآيات القرآنية. وليس باستطاعتنا ان نقول أن المفسرين القدامى لم يكونوا يدركون اهمية التناسق الفنى او لم يكن له اهتمام بالتصوير الفنى الموجود فى القرآن. بل كانوا يستشعرون باهمية هذا الموضوع إلا أنهم لم يبيوه على نطاق اوسع كما فعل سيد قطب فى تفسيره الجليل. فإنه قد أوضح و أبرز هذا الموضوع للقارى على طريق سهل و بحث عنه و كتب عنه بطريق مقنع حتى صار هذا الأفق واضحا لكل من له رغبة فى مطالعة القرآن. فى هذا الخصوص يطرح سيد قطب فكرته : ان القرآن يرسم الصور و يعرض المشاهد و يحرك التخيل و هذا افق جميل من آفاق التناسق الفنى فى القرآن. فقال:

”إن هذه المشاهد و تلك الصور ، يتوافر لها ادق مظاهر التناسق الفنى فى ماء

الصورة و جوّ المشهد، و تقسيم الاجزاء و توزيعها فى الرقعة المعروضة“.

إن سيد قطب قد بين هذا التناسق بصورة اوضح فى كتابه الشهير

”التصوير الفنى فى القرآن“. فإنه يرى أن طريقة التصوير هى اجمل الطرق

التي يعبر بها الإنسان عن خوالج صدره و خفايا ذهنه و فكرته . لماذا يعتبر

سيد قطب التناسق الفنى من احسن طريق البيان وضح هذه النقطة قائلاً:

”اولاً: ما يسمى بوحدة الرسم و حتى المبتدءون فى القواعد يعرفون شيئاً عن

هذه الوحدة ، فلسنا فى حاجة إلى شرحها. و يكفى أن نقول: إن القواعد

الاولية للرسم تحتم أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة فلاتنافر

جزئياتها“

ثانيا: توزيع اجزاء الصورة . بعد تناسبها على الرقعة بنسب معينة حتى لا يرحم بعضها بعضا، و لا تفقد تناسقها في مجموعها.

ثالثا: اللون الذى ترسم به ، والتدرج فى الظلال ، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة و الموضوع - والتصوير بالألوان يلاحظ هذا التناسق كما يلاحظه "التوزيع" فى المشاهد المسرحية والسنمائية . و التصوير فى القرآن يقوم على اساسه ، وإن كانت وسيلته الوحيدة هى الألفاظ ، ولذلك يسمو الإعجاز فيه على تلك المحاولات". ١

وفيما يلى نقدم بعض الأمثلة فى ضوء الكلمات المذكورة اعلاه يقول سيد قطب فى تفسير آيات سورة النحل ((و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا... إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون)) (آيت ٦٨. ٦٩)

اذ جاء رجل إلى النبي ﷺ و شكاه استطلاق بطن أخيه و امره النبي ﷺ بإسقاء العسل فذهب وسقى أخاه العسل فلم يفده ذلك ثم جاء و شكاه نفس الشئ فامر النبي ﷺ بإعادة العمل فبرئ . إن العسل نعمة من الله تعالى و قال "فيها شفاء للناس" . ويقول سيد قطب مزيدا من الضوء على التناسق الفنى فى القرآن قائلا:

"و نقف هنا امام ظاهرة التناسق فى عرض هذه النعم. إنزل الماء من السماء . و اخراج اللبن من بين فرث و دم . وإخراج السكر و الرزق الحسن من ثمرات النخيل و الاعناب . و العسل من بطون النحل..... إنها كلها اشربة تخرج من اجسام مخالفة لها فى شكلها و لما كان الجو جو اشربة فقد عرض من الأنعام لبنها و حده فى هذا المجال تنسيقا لمفردات المشهد كله. و سنرى فى الدرس التالى أنه عرض من الأنعام جلودها و اصوافها و اوبارها لأن الجو هنا كان جو اكنان و بيوت و سراويل فناسب أن يعرض من الأنعام جانبها

الذى يتناسق مع مفردات المشهد..... و ذلك افق من آفاق التناسق الفنى فى

القرآن“ ١.

و فى موضع آخر يقول فى قول سبحانه تعالى ((ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا))

”و لقد اعلن ذوالقرنين من قبل دستوره فى الحكم فلم يتكرر بيانه هنا ولا لفرقه فى رحلة المشرق لأنه معروف من قبل قد علم الله كل ما لديه من افكار واتجاهات.

ونقف هنا وقفة قصيرة امام ظاهرة التناسق الفنى فى العرض فإن المشهد الذى يعرضه السياق هو مشهد مكشوف فى الطبيعة الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر و كذلك ضمير ذى القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله و كذلك يتناسق المشهد فى الطبيعة و فى ضمير ذى القرنين على طريقة التنسيق

القرآنية الدقيقة“ ٢.

فى تفسير آيتى سورة الحديد ((يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم الخ و يوم يقول المنفقون و المنفقت للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم الخ . قد اشار سيد قطب إلى تناسق فنى موجود فى هذه الآيات قائلا:

” و نظرا من ناحية التناسق الفنى فى عرض المشهد، فنجد فى اختيار مشهد النور فى هذا الموضع بالذات حكمة خاصة . إن الحديث هنا عن المنافقين و المنافقات..... و المنافقون و المنافقات يخفون باطنهم و يتظاهرون بغير ما فى الضمير المكنون و يعيشون فى ظلام من النفاق و الدس و الوقيعة . و النور يكشف المخبوء و يفضح المستور كما انه الصفحة المقابلة الوضيئة لصفحة النفاق المظلمة المطموسة . فهو اليق شئى بأن تطلق اشعته على المشهد

الكبير . و بأن ينير بين ايدي المومنين و المومنات بأيمانهم، بينما المنافقون
في الظلام الذي يناسب ظلمات الضمير و ظلمات الخفاء المستور! ١
و كذلك يقول في تفسير سورة اللمب مشيراً إلى التناسق اللفظى و
التناسق الصوتى كما يلى :

” التناسق..... فى جرس الكلمات مع الصوت الذى يحدثه شدة احمال
الحطب و جذب العنق بحبل من مسد. اقرء ((تبت يدا ابي لهب و تب)) تجد
فيها عنف الحزم و الشدا! الشبيه بحزم الحطب و شده. و الشبيه كذلك بغل
العنق و جذبه و الشبيه بجو الحنق و التهديد الشائع فى السورة .
و هكذا يلتقى تناقس الجرس الموسيقى مع حركة العمل الصوتية، يتناسق
الصور فى جزئياتها المتناسقة يتناقس الجناس اللفظى و مراعاة النظر فى
التعبير..... ويتم هذا كله فى خمس فقرات قصار.....“ ٢

وامثال هذا التناسق الفنى منتشرة فى تفسيره و قد ابرزها سيد قطب
باسلوب بارع يجذب اذهان القارئ إليها بدون أية عوائق كما يحث الإنسان
على مزيد من التدبر و التفكير فى الآيات الربانية.

علم المناسبات (النظام)

علم المناسبات علم جليل لان نظم الكلام جزء هام للبيان العلمى و الأدبى والجهل عنه يؤدي إلى قصور فهم المعانى عامة و قصور فهم معانى القرآن خاصة. و ليس هذا العلم علما جديدا بل اعتنى به المفسرون منذ القديم و الف بعضهم كتبا و رسائل مستقلة فى نظام القرآن.

والذى رفع من شأن هذا العلم الجليل هو الأستاذ حميد الدين الفراهى حيث صاغ له اصولا و قواعد. و جعل لبحثه و تلمسه مناهج و معالم. و من قبله كان هذا العلم منحصر على تذوق الملتمس بدون اسس قوية علمية يجب اتباعها عند البحث والتحقيق وقد قدم الاستاذ الفراهى هذا الموضوع اى موضوع نظام القرآن فى صورة واضحة جلية شاملة. و لا نجد مثل هذا الوضوح الشامل عند المتقدمين الآخرين و لاسيما عند البحث عن عمود السور بحيث تنجلي كل السور كالتوأم. و قسم الفراهى القرآن الكريم إلى سبعة اجزاء و كما اثبت الترابط الوثيق بين السور حيث تبدو مقدمة الكتاب مرتبطة بخواتمه.

لقد ألف الاستاذ الفراهى عدة رسائل و الكتب فى علوم القرآن بما فى ذلك 'نظام القرآن' و فسر ايضا بعض السور المتفرقة.

و سلك مسلك الفراهى تلميذه الرشيد الشيخ امين احسن الاصلاحى فى تفسيره المعروف "بتدبر القرآن" (باللغة الاردية) و تلميذ تلميذه الشيخ محمد عنايت الله السبحانى فى كتابيه "امعان النظر فى نظام الآى والسور" و "البرهان فى نام القرآن".

و إن تأملنا فى تفسير سيد قطب من هذه الناحية وجدناه موفقا فى

كثير من المواضع. فنلاحظ في تفسيره صورة المناسبة واضحة في كثيرة من السور. وهذا بالرغم من انه لم يعتن بهذا العلم اعتناء كاملاً مثل الاستاذ الفراهي و كلما نعثر على صورة المناسبة في تفسيره نستنج منها أنه لم يكن يجهل عن هذا العلم و لم يكن غافلاً عنه اثناء كتابة تفسيره و لتدعم قولنا هذا نقتبس بعض الامثلة من تفسيره فهو يقول في تفسير سورة العنكبوت:

”والسورة كلها متماسكة في خط واحد منذ البدء إلى الختام إنها تبدأ بعد الحروف المقطعة بالحديث عن الايمان و الفتنة و عن تكاليف الايمان الحق التي تكشف عن معدنه في النفوس فليس الايمان كله تقال باللسان إنما هو الصبر على المكاره و التكاليف في طريق هذه الكلمة المهفوفة بالمكاه و التكاليف.

ويكاد هذا ان يكون محور السورة و موضوعها فإن سياقها يمضي بعد ذلك المطلع يستعرض قصص نوح و ابراهيم و لوط و شعيب و قصص عاد و ثمود و قارون و فرعون و هامان استعراضاً سريعاً يصور الوانا في العقبات و الفتن في طريق الدعوة إلى الايمان على امتداد الأجيال.“ ١

ثم يقول في نفس السورة يعرض الاقتباس الطويل . و بعد يشير إلى الربط الموجود بين الحق الذي في تلك الدعوات و بين الحق الذي في خلق السموات و الارض و يحاول اثبات الوحدة بين هذه الدعوات باجمعها و بين دعوة محمد صلوات الله عليه في النهاية يصل إلى نتيجة ان جميع هذه الدعوات كانت من عند الله.

يختم السورة بتمجيد المجاهدين في الله وطمأنيتهم على الهدى و تثبيتهم ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و ان الله لمع المحسنين)) و هكذا يتصل الختام بالحلقات الاولى من السورة و تتضح حكمة السياق في

سياق السورة و يبدو ان حلقاتها تدور حول محور واحد و موضوع رئيسى و هذا اسلوب علمى يقنع القارى تماما . ومع كل هذا نلاحظ أن فى بعض المواضع لم يستطع هذا الأسلوب المقنع أو كأن المناسبات أو النظام لم تنكشف له و لم تتضح ذلك الموضوع فمثلا فى سورة الأنعام يتخذ اسلوبا آخر فيقول:

” وهى تشبه فى سياقها المتدافع بهذه المشاهد والمواقف والموجيات والإيقاعات و الصور والظلال مجرى النهر المتدافع بالامواج المتلاحقة ماتكاد الموجة تصل إلى قرارها حتى تبدوا الموجة التالية ملاحقة لها متشابكة معها فى المجرى المتصل المتدفق“ . ١

و هذ الاسلوب مع قوته الأدبية لايعطى صورة النظام واضحة و لاسيما عمود السورة و محورها لا يتضحان بشكل كامل . من كل ما ذكرناه يتضح أن سيد قطب قد ركز عنايته على المناسبات الداخلية اى النظام بين آيات السورة . اما المناسبة الخارجية بين السور فانه لا يهتم بها مع أننا نلاحظ أن الاستاذ الفراهى قد اعتنى بهذا الجانب بصورة جذابه ولا يعنى ذلك ان سيد قطب كان غافلا عن اهمية النظام الخارجى الموجود بل قد أشار إليه فى حين تجلى له هذا النظام بصورة واضحة فمثلا يقول فى صورة إخلاص :

”هذه السورة اثبات و تعزيز لعقيدة التوحيد الاسلامية كما أن سورة الكافرون نفى لأى تشابه أ و التقاء بين عقيدة التوحيد و عقيدة الشرك . وكل منهما تعالج حقيقته من وجه و قد كان الرسول ﷺ يستفتح يومه . فى صلاة سنة الفجر بالقراءة بهاتين السورتين . و كان لهذا الافتتاح معناه و مغزاه .“ ٢

١- فى ظلال القرآن الجزء الثانى ص ٩٦
٢- الجزء ٣٠ ص ٢٠٩

و أرى أنه لو اهتم و اعتنى بهذا الجانب لكان له شأن آخر و تفتح له
آفاق جديدة نستقف منهما موضوع التناسق الفى و التصوير الفنى فى
القرآن بصورة اوضح حيث تتجمع الصور البيانية فى اسلوب متماسك لا
اعوجاج و لا خلل فيه.

الأسلوب الأدبي

يتصف تفسير سيد قطب "فى ظلال القرآن" بالأسلوب الأدبى الرفيع الذى لا يوجد مثله فى التفاسير الأخرى المعاصرة. فعند قرائته يحس الإنسان أن المفسر قد صور له ببراعة المشاهد الكونية و رسم له المناظر الطبيعية بحيث تلمس قلبه و روحه عذوبة أسلوب و يؤثر حسن بيانه على عقله و ذهنه. ولانجد هذه الميزة عند أصحاب العلم الآخرين إلا نادرا. يمكن لأى باحث أن يمر بهذه التجربة عند مطالعة تفسيره لأن تفسيره ذاخر بمثل هذا الأسلوب الرشيق . و لتدعيم قولنا هذا نتقدم فيما يلى بما كتبه سيد قطب فى تفسير سورة "الضحى".

و فى بداية تفسير هذه السورة إنه لفت أنظار الناس إلى أحوال النبى صلى الله عليه وسلم الشخصية إذ ولد هو يتيما. وسرعان ما انتقلت أمه إلى جوار رحمة ربها و إثر ذلك مات عمه الشفيق الذى كان يسد احتياجاته بعد وفات أبويه. فلنتصور الأوضاع الحرجة والأحوال السيئة التى يعانىها اليتامى فى المجتمع الإنسانى .

ثم نقرأ سورة الضحى يقول سيد قطب فى بداية سورة الضحى :
"هذه السورة بموضوعها و تعبيرها ومشاهدها و ظلالها و إيقاعها لمسة من حنان، و نسمة من رحمة ، و طائف من ودّ، و يدحانية تمسح على الآلام و المواجه و تنسم بالروح والرضى والأمل، و تكسب البرد والطمأنينة

وإنها كلها خالصة للنبي ﷺ و إنها مطر الحب من الله تبارك و تعالى و إنها تسرية و تسلية و ترويح و تطمين .

لقد جاء فى الآثار و الروايات أن سلسلة الوحي ذات مرة قد انقطعت ولم يزل منقطعة حتى أصبح النبي قلقا على هذا الأمر و بدأ المشركون يقولون ” ودع محمدا ربه“ فأنزل الله تعالى هذه السورة كفيضان الود و الحب و الرحمة و الرضى و الطمانينة و اليقين .

((ماودعك ربك و ماقلنى . وللآخرة خير لك من الأولى ، و لسوف يعطيك ربك فترضى)) ... ((الم يجدرك يتيما فأوى، و وجدك ضالا فهدى، و وجدك عائلا فأغنى))

و هنا نأتى باقتباس طويل لتمثيل أسلوب سيد قطب الرفيع الممتاز فيقول فى تفسير هذه الآيات :

”لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف ، و الرحمة الوديدة و الرضى الشامل، و الشجى الشفيف: ((ما ودعك ربك و ماقلنى، وللآخرة خير لك من الأولى، و لسوف يعطيك ربك فترضى))... ((الم يجدرك يتيما فأوى و وجدك ضالا فهدى و وجدك عائلا فأغنى))... ذلك الحنان و تلك الرحمة ، و ذلك الرضى، و هذا الشجى: تنسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ و من هذه الموسيقى السارية فى التعبير، الموسيقى الرتيبة الحركات، الويدة الخطوات، الرقيقة الأصداء ، الشجية الإيقاع.. فلما اراد إطارا لهذا الحنان اللطيف و لهذا الرحمة الوديدة ، و لهذا الرضى الشامل و لهذا الشجى الشفيف، جعل الإطار من الضحى الرائق و من الليل الساجى . اصفى الانين من آونة الليل و النهار و أشف انين تسرى فيهما التأملات . و تتصل الروح بالوجود و خالق الوجود و تحس بعبادة الكون كله لمبدعه و توجهه لبارئه

بالتسييح والفرح والصفاء. و صورهما فى اللفظ المناسب. فالليل هو ((الليل
اذا سجد)) لا الليل على إطلاقه بوحشته و ظلامه . الليل الساجى الذى يرق و
يسكن و يصفو، و تغشاه سحابة رقيقة من الشجى الشفيف والتأمل الوديع
كجو اليتيم و العيلة ثمن ينكشف و يجلى مع الضحى الرائق الصافى ... فتلتئم

ألوان الصورة مع ألوان الإطار. و يتم التناسق والإتساق“ ١.

كيف آوى محمد ربه و كيف نور قلبه بنور الوحى والإيمان و كذلك
كيف أغنى الله محمدا رسوله الكريم كلها معلوم لدى الناس“ .
وعندما يقرأ الإنسان تفسير هذه الآيات يصبح مفتونا بأسلوب سيد
قطب الرشيق العذب و يتخيل ذهنه بأنه يعيش فى عهد النبى ﷺ و يشاهد
الأحوال القلقة قد جربها النبى ﷺ بسبب تأخير الوحى و بسبب أقوال
الكافرين الذين كانوا يتقولون الأقاويل فى أسلوب ساخر .

الفصل السادس

دراسة بعض المصطلحات

التوحيد

التوحيد عند سيد قطب ليس توحيد الربوبية فقط بل يشتمل الربوبية والالوهية وليس فيه اجمال و لا إبهام بل واضح كل الوضوح فى الحقيقة . إن الألوهية وأبعادها تنبثق من الربوبية. يقول سيد قطب فى تفسير سورة الإخلاص ملقيا الضوء على اهمية التوحيد: و من هنا ينبثق منهج كامل للحياة قائم على ذلك التفسير و ما يشيعه فى النفوس من التصورات و المشاعر و الإتجاهات:

”منهج للاتجاه الى الله وحده فى الرغبة والرغبة ، فى السراء و الضراء فى النعماء والبأساء والا فما جدوى التوجه إلى غير موجود وجوداً حقيقاً و إلى غير فاعل فى الوجود اصلاً. ١

و فى هذا السياق سيد قطب يوضح شمولية عقيدة التوحيد . فهو يقول:

”و منهج للتلقى عن الله وحده تلقى العقيدة و التصور و القيم و الموازين والشرائع والقوانين والاضاع و النظم والآداب والتقاليد. فالتلقى لا يكون الا عن الوجود الواحد والحقيقة المفردة فى الواقع و فى الضمير“ ٢.

و كذلك فى موضع آخر يفسر الالوهية المنبثقة من هذه الربوبية و يقول:

”إنه مع التوحيد الواضح الخالص، لا مكان لعبودية إلا لله و لا مكان للإستمداد والتلقى إلا من الله لا فى شريعة او نظام و لا فى ادب او خلق و لا فى اقتصاد

او اجتماع. ولا مكان كذلك للتوجه لغير الله فى شأن من شئون الحياة و ما

بعد الحياة“ ١.

ثم ان قضية التوحيد عند سيد قطب ليست قضية نظرية المختصة بالجدال الكلامى بل هى قضية هامة يكمن فى ذاتها سر الحياة الإنسانى و هى أساس يقوم عليها بناء الحياة الشامخة الناجحة. و كذلك تصور التوحيد الاسلامى ليس تصورا جامدا يعتنقه رجال متخلفون بل هو تصور يترعرع و ينمو فى نفوس حية فعالة و يظهر كحركة واقعية عملية يميظ سيد قطب اللثام عن هذه الحقيقة :

”إن التصور الاسلامى للالهية و للوجود الكونى و للحياة الانسانية تصور شامل كامل . كذلك تصور واقعى ايجابى . و هو يكره - بطبيعته - أن يتمثل فى مجرد تصور ذهنى معرفى . لان هذا ضد طبيعته و غايته . و يجب ان يتجلى فى أناس، و فى تنظيم حى، و فى حركة واقعية، و طريقته فى التكون ان ينمو من خلال الاناس و التنظيم الحى و الحركة الواقعية“ ٢.

و يعنى ذلك ان تصور التوحيد عند سيد قطب تصور ديناميكى يغرق هذا التصور الذهن الانسانى بنوره و يتحرك به الحياة الفانية كلها . و فى هذا السياق أود ان أشير إلى قضية هامة و هو قضية وحدة الوجود هل كان سيد قطب يتمسك بها و هل كان يعنها بقوله ”احدية الوجود“ و بالتأمل فى عبارة سيد قطب هنا و هناك من تفسيره يتبين لنا جليا انه لم يكن يعنى باحدية الوجود الا التوحيد الخالص و كلما يستخدم هو التعبير ”وحدة الوجود“ فهو يعنى بذلك وحدة الوجود و المخلوقات كلها بحيث ان خالقها واحد لاغير. والدليل على ما قلت توضيحه فى تفسير سورة الاخلاص عندما ينتقد غلاة الصوفية الذين يؤمنون بوحدة الوجود :

” و هذه هى مدارج الطريق التى حاولها المتصوفة فجذبتهم إلى بعيد“ ٣.

١- فى ظلال القرآن	الجزء الثالث	ص ١٤٣
٢- فى ظلال القرآن	الجزء العاشر	ص ٢٠٤
٣- فى ظلال القرآن	الجزء ٣٠	ص ٤٠٠٣ ط-الحادى عشر

الشرك

إن انكرا الاعمال و ابغضها عند الله هو الشرك، اذ يقول الله سبحانه و تعالى ((إن الشرك لظلم عظيم)) و لهذا الشرك أنواع و أقسام و احوال و كوائف . إن قضية الشرك لمعقدة و لذلك لو اصيب احد بقدر قليل من الشرك يسد أمامه طريق الفوز و النجاح ، و ليس الشرك ان لا يقر الإنسان بتوحيد الله تبارك و تعالى فقط بل له اشكال متنوعة و صغيرة لا يدرك بها المشرك فى اكثر الأحيان و كذلك لا يشعر بخطورة امرها .

قد قام سيد قطب بدراسة دقيقة عن هذا المرض الفتاك فهو يبين الشرك

قائلا:

”أن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده و لو لم

يصحبه شرك فى الإعتقاد بألوهية و لا تقديم الشعائر التعبدية له“ . ١

و فى مكان آخر يوضح الاشكال الجديدة للشرك و يقول ان الناس يتورطون فى الشرك مع انهم لا ينكرون بالتوحيد . هذا افتك و اخطر الصور من الشرك التى يرتكبها افراد الامة المسلمة مع ادعائهم بأنهم يؤمنون بالله و رسوله و يشير سيد قطب إلى هذا الجانب و نقتبس اقتباسا طويلا لغاية الإيضاح و هو يقول:

”ان المعنى الاول للدين هو الدينونة اى الخضوع والإستسلام والاتباع . و

هذا يجلى فى اتباع الشرائع كما يتجلى فى تقديم الشعائر والامر جد لايقبل

التميع فى اعتبار من يتبعون شرائع غير الله دون انكار منهم يثبتون به عدم

الرضا عن الافتئات على سلطان الله مؤمنين بالله مسلمين . لمجرد انهم

يعتقدون بالوهية الله سبحانه و يقدمون له وحده الشعائر و هذا التميع هو
اخطر ما يعانیه هذا الدين فى هذه الحقبة من التاريخ و هو افتك الاسلحة التى
يحارب بها اعداءه..... و اذ كان اعداء هذا الدين يحرضون على تثبيت لافتة
الاسلام على تلك الاوضاع ، و هؤلاء الاشخاص . فواجب حماة هذا الدين ان
ينزعوا هذه الافتات الخادعة و ان يكشفوا ماتحتها من شرك و كفر و اتخاذ
ارباب من دون الله“ . ١ .

و من الحقيقة المرة ان بعض الافراد من الامة المسلمة مع ادعاء
ايمانهم بالله وحده و شريعته التى ارسلها برسوله ﷺ يعطون حق التشريع
الحكام و الرؤساء الذين يأمرون ما يشاءون بدون خوف من الله و بدون
رعاية ما يأمره هو . و إلى هذا الامر لقد اشار القرآن قائلا ((من اشرك بالله
فكانما خر من السماء)) و لذلك نرى ان المسلمين فى الوقت الحاضر غشاء
كغشاء السيل و تتداعى عليهم الامم كما تداعى الآكلة إلى قصعتها . و
يظلمون و يقهرون فى كل انحاء العالم حيث لا ثقل و لا وزن لهم فى الامور
الدينية .

النفاق

عندما يتناول سيد قطب كلمة النفاق للبحث و التدقيق لا يأتى كما هو
المعتاد منه بتعريف هذه الكلمة منقظيا فحسب بل يبرز جميع سماتها و
صفاتھا فى ضوء اعمال الرجل المنافق لكى تكون الصورة اكثر وضوحا و
اكثر تأثيرا و اقرب فمهما و ابعده من الجدال النقاش . و كان رسولنا الكريم

يختار نفس الاسلوب والمنهج فسلك سيد قطب مسلك الرسول في توضيح
كلمة 'المنافق' كما هو واضح في قوله التالي :

”المنافقون والمنافقات من طينة واحدة وطبيعة واحدة المنافقون في كل
زمان وفي كل مكان تختلف افعالهم و اقوالهم ولكنها ترجع إلى طبع واحد و
يصنع من معين واحد سوء الطوية و لؤم السريرة و الغمز والدس و اضعف عن
المواجهة والجبن عن المصادفة . تلك سماتهم الاصيلة. اما سلوكهم فهو
الامر بالمنكر و النهي عن المعروف و البخل بالمال“ . ١

و لقد تحدث سيد قطب عن كلمة النفاق حيثما وجدت هذه الكلمة
في القرآن بالايجاز أو بالإطناب لان امر النفاق امر خطير والانخداع به
اكثر وقوعا و قد اشار سيد قطب إلى الجوانب الهامشية لاعمال المنافقين و
منها السكوت على ما يسخر المنافقون من أعمال الدين الاسلامي و عدم
اظهار الغضب على سلوكهم تحت شعار حرية الراي و التعبير . وهذا امر
شائع في هذا الزمان و تحتاج الى دراسة و الى حكم واضح . كما يتبين من
كلمات سيد قطب التالية:

” واول مراتب النفاق ان يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله و يكفر
بها و يستهزأ بها فيسكت و يتغاضى، يسمى ذلك تسامحا او يسميه دهاء او
يسميه سعة صدر و أفق و ايمانا بحرية الراي و هي هزيمة داخلية تدب في
اوصال و هو يموه على نفسه في اول الطريق حياء منه ان يأخذ ه نفسه متلبسا
بالضعف و الهوان“ . ٢

و بعد هذا كله يذكر سيد قطب ما يرجي من رجل مؤمن و من قلب
مفعم ينور بنور الإيمان و الحمية الاسلامية في امثلة هذه الاوضاع المضادة
للتعاليم الاسلامية الحنيفة فيقول سيد قطب :

”فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس فاما ان يدافع و اما ان يقاطع المجلس

ص ٢٤٩-٢٥٠

الجزء العاشر

١- في ظلال القرآن

ص ٢٦١

الجزء الخامس

٢- في ظلال القرآن

و اهله . فاما التغاضى و السكوت فهو اول مراحل الهزيمة و هو المعبر بين

الايمان و الكفر على قنطرة النفاق“ . ١

هذه الكلمات القيمة ذات اهمية بالغة لأن فى الزمان الحاضر كثيرا
ما نشاهد سلوكا اجتماعيا سيئا ولا يرد عليه اما بسبب الضعف والهوان او
بسبب المصلحة المزعومة المقترنة بالجبن والإنحلال الخلقى .

الفصل السابع

المقارنة بين التفسيرين
'المينار' و'في ظلال القرآن'

المقارنة بين التفسيرين "المنار" و "في ظلال القرآن"

قام الشيخ محمد عبده في مصر و البلدان العربية الأخرى بنهضة علمية مباركة وكانت هذه النهضة تركز على الوعي الإسلامى و ادراك المفاهيم الإسلامية الإجتماعية وادراك ما يقدم الإسلام من حل مشاكل الحياة الحديثة . والشيخ محمد عبده كان يلقي المحاضرات فى التفسير بالأزهر الشريف حيث لازمه كثير من طلابه و مريديه . فكان الشيخ رشيد رضا صاحب 'المنار' الذى التحق بهذه الدروس و ضبطها . فظهر جميع ما ألقى فى هذه المحاضرات فى شكل كتاب بعنوان تفسير "المنار" . و هذا التفسير يستهل لفاتحة القرآن و ينتهى إلى قوله تعالى ((رب قد آتيتنى من الملك و علمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض)) (سورة يوسف : ١٠١)

فمحاضرات الشيخ محمد عبده ماكانت مجرد كلمات و جمل بل كانت حركة علمية و حركة تفسيرية جديدة استلقت أنظار الناس إلى القرآن الكريم للبحث عن مشاكل الحياة الجديدة . وكذلك استلقت عيونهم إلى ما يقدم القرآن من الحلول للقضايا الإجتماعية الإنسانية المعاصرة . وهذه الحركة تؤمن بأن القرآن هو دستور الحياة و يمكن إنطباقه فى العصر الحديث لتشكيل مجتمع صالح . كما تم ذلك قبل القرون .

الشيخ رشيد رضا كان من أكبر مؤيدي هذه الحركة. فكان يشاهد الروح الثورى فى القرآن و مايقدم هذا الكتاب من حل لمشاكل الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية، اقتصادية كانت أو سياسية . والتفسير أيضا يرد على ما أثير من الشكوك و الشبهات حول الإسلام من قبل معانديه. فلنرى غاية تفسير ”المنار“ بلسان المفسر نفسه فهو يقول فى بداية تفسيره :

” كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب فى التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، و الهداية السامية ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب و قواعد النحو و نكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرف عنه بجدل المتكلمين و تخريجات الأصوليين و استنباطات الفقهاء المقلدين و تأويلات المتصوفين...“ ١.

ثم يصرح غاية تأليف هذا التفسير قائلاً :

”فكانت الحاجة الشديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه و ما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح ثم إلى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير، و مراعاة افهام صنوف القارئین، و كشف شبهات المشتغلين بالفلسفة و العلوم الطبيعة وغيرها“ ٢.

هكذا يحاول الأستاذ رشيد رضا أن يفسر الكتاب العزيز من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه من سعادتهم فى حياة الناس الدنيوية والأخروية. و مع العلم بما ذكرنا عن تفسير ”المنار“ وعن فكرة صاحبه فى التفسير يمكن بنا القول أن تفسير سيد قطب جزء من جزء هذه الحركة التفسيرية التى قامت فى القرن العشرين. والتفسيران كلاهما يشتركان فى الغاية و الهدف و النتيجة والمؤثرات على المجتمع العربى .

١- المنار المجلد الاول ص ٩
٢- المنار المجلد الاول ص ١٠

إلا أن تفسير رشيد 'المنار' لم يكتمل و ذلك لأن الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبده قد عاجلت المنية و التفسير المذكور فى الحقيقة مبنى
على افادات الأستاذ محمد عبده.

و اذا نمعن النظر فى كلا التفسيرين "المنار" و "فى ظلال القرآن"
نرى أن نفس الروح القرآنى تسرى فى افكار كلا المفسرين . و نستشف هذا
من مقدمتى التفسيرين إذ يقول الأستاذ سيد قطب فى مقدمة تفسيره :

"فعلية المؤمن هى وطنه و هى قومه، و هى أهله.... و من ثم يتجمع البشر

عليها وحدها". ١

و نجد نفس الفكر يتجلى فى كلمات الأستاذ رشيد رضا التالية:

"إن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم ، فهم إخوة لا يجوز أن يفرقهم نسب

و لالغة و لا حكومة". ٢

و نتحير اذ نرى تشابها كاملا فى فكرتهما كأن ذهنهما واحد و
فكرتهما واحدة و يفكران فى جهة واحدة و هذا واضح من الحقيقة أن
كليهما يخصان مكانة عليا للإنسان يعتبرانه 'سيدا لأرض' و قد استخدما
'سيد الأرض' للإنسان فيقول الأستاذ رشيد رضا فى مقدمة تفسيره :

"فالإنسان سيد الأرض ، وصلاحها و فسادها منوط بصلاحه و فساده، و

ليست الثروة و لا وسائلها من صناعة و زراعة و تجارة هى المعيار لصلاح

البشر". ٣

وقد كرر سيد قطب نفس الرأى فى تفسير الآية ((و إذ قال ربك
للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة)) (البقرة: ٣٠)
"إن الإنسان سيد هذه الأرض و من اجله خلق كل شئ فيها..

إن الإنسان فى الأرض هو الدور الأول فهو الذى يغير و يبذل فى أشكالها و فى

ارتباطاتها ، هو الذى يقود اتجاهاتها و رحلاتها . و ليست وسال الإنتاج و

١-	فى ظلال القرآن	المجلد الاول	ص ١٢ ط- الحادى العشر
٢-	المنار	المجلد الاول	ص ١١
٣-	المنار	المجلد الاول	ص ٦

وهذه التوارد الفكرى يظهر من مجهح تفسيرهما إذ نرى أن كليهما يأخذان العقل السليم و الحقائق الكونية والدلائل العلمية والمعارف الإجتماعية أساسا لتفسيرالقرآن الكريم و كذلك نراهما يشتركان فى الدلائل العقلية.

إلا أن الأستاذ رشيد رضا قصب السبق فى هذا المجال كما هو واضح من كلمات رشيد رضا الآتية التى يؤكد فيها على أهمية العقل فى أمور الدين يقول :

”أما الإنسان فلم يكن من خاصة نوعه ان يتوفر له مثل ذلك الإلهام ، فحياه الله هداية هى اعلى من هداية الحس والإلهام، وهى العقل الذى يصحح غلط الحواس و المشاعر ويبين اسبابه، و ذلك أن البصر يرى الكبير على البعد صغيرا. و يرى العود المستقيم فى الماء معوجا، و الصفراوى يذوق الحلو مرأ، والعقل هو الذى يحكم بفساد مثل هذه الإدراك“ ٢.

هكذا حاول صاحب المنار ان يبرز مكانة العقل فى مجالات العلم و العرفان، و فى رأيه لاتستكمل عقيدة التوحيد بدون العقل و لذلك كل من يشرك بالله هو فى الحقيقة اقل الناس عقلا واكثرهم جهلا وكذلك يرى رشيد رضا أن العقل هو الذى بنيت عليه أصول الدين فى العقائد و فى حكمة التشريع فلا بد للعقل ان يدرك حكمته و عمقها حتى استبان له ما فيهما من الحق و العدل و مصالح العباد .

و من هنا كان الأستاذ رشيد رضا صاحب المنار أشد معارضا للتقليد الاعمى والاتباع على الجهل بدون البصيرة، و ذلك لأنه كان يريد كسر الجمود فى الأمة المسلمة و لا يتحقق هذا إلا أن يتخذ المسلمون الهداية لحياتهم من الكتاب المنير. و يقول فى آية من سورة البقرة ((مثل الدين

كفرو كمثل الذى ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ا و نداء اصم بكم عمى فهم
لا يعقلون))

”الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل و لاهداية هو شأن الكافرين ، وأن
المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه و عرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن ربي
على التسليم بغير عقل و العمل - و لو صالحا - بغير فقه فهو غير مؤمن. لأنه
ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد
منه أن يرتقى عقله و تنزكى نفسه بالعلم بالله و العرفان فى دينه ، فيعمل الخير
لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله و يترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته“.

و لأجل ذلك كله كان رشيد رضا دائما يؤكد على أهمية العقل
وتزكيتته حتى يكون صافيا و قابلا لإدراك ما تستبين له من حكمة الشرائع و
عمق العقائد الدينية.

وبالرغم من الحقيقة أن سيد قطب لم يبلغ إلى هذا الشأ و فى تأكيد
أهمية العقل إلا أنه قد اصر مرارا و تكرارا على اختيار المنهج العلمى عند
كتابة تفسير القرآن و هذا الإصرار يدل على انه قد درس دراسة عميقة
لمشاكل الحياة المعاصرة و شاهد ما عليها الحياة من الخلل و الفساد خاصة
فى حياة الناس المثقفين المهذبين المرعوبين كما درس عن كذب الأوضاع
الإجتماعية بمنتهى الدقة حتى ادرك القضايا النفسية لإنسان عصرنا
الحاضر. و لتوضيح هذه النكتة نقدم فيما يلى عبارة مقتبسة من تفسيره
فيقول فى تفسير سورة التكويد:

” ((واذا البحار فجرت) فتفجير عناصرها و انفصال الإيدروجين عن
الأوكسجين فيها. او تفجر ذراتها على نحو مايقع فى تفجير الذرة ، و هو
أشد هولاً، او على اى نحو آخر. و حين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لايتصور
مداها تنطلق من البحار. فإن تفجير قدر محدود من الذرات فى القنبلة الذرية

او الإيدروجينية يحدث هذا الهول الذى عرفته الدنيا. فإذا انفجرت ذرات
البحار على هذا النحو او نحو آخر، فإن الادراك البشرى يعجز عن تصور هذا
الهول“ ١.

وإذا نقرأ تفسير سورة الاعلى نتحير كيف برع سيد قطب فى فهم آية
القرآن ((سبح اسم ربك الاعلى)) فهو يقول:

”وهذه حقيقة كبرى ماثلة فى كل شئ فى هذا الوجود، يشهد بها كل شئ
فى رحاب الوجود من الكبير إلى الصغير و من الجليل إلى الحقير. كل شئ
مسوى فى صنعته، كامل فى خلقته، معد لاداء وظيفته“ ٢.

ثم يشناق قلب الإنسان إلى ان يتقلب ايقاءات هذا الوجود و يتدبر
الأشياء بوعى مفتوح و يستخدم الادراك الالهامى لمشاهدة قدرة الله العظيم
السارية فى نظام هذا الكون ثم يتفكر فى الطيور و انواعها و كيف تعيش هذه
الطيور حسب طريقة الهمها الله اليها و فى الاسماك الموجودة فى أعماق
البحار . و فى هذا السياق يقول سيد قطب أن المخترعات الحديثة و
الماكينات الجديدة كلها تابعة للنظام الالهى مثل موجودات الارض
الاخرى فهو يقول:

”إن التلفون والراديو هم من العجائب الآلية و هما يتيحان لنا الاتصال السريع

و لكننا مرتبطون بشأنهما بسلك و مكان“ ٣.

و كلما نقرأ تفسير المنار نلاحظ أن رشيد رضا لا يقيد بوجه عام
باقوال المفسرين والعلماء المتقدمين و كذلك يتجنب الأحاديث الضعيفة
والمباحث الفنية والعلمية. بل نراه يفسر القرآن بالقرآن بأسلوب رائع
ويكشف عن المعانى بعبارة سهلة و يقوم بتوضيح مشكلات القرآن والدفاع
عما اثير حوله من الشبهات من قبل الاعداء. و نجد عنده التسامح والفسحة
فى المسائل الاجتماعية.

١-	فى ظلال القرآن	المجلد السادس	ص ٣٨٣٩	ط-الحادى العشر
٢-	”	”	ص ٣٨٨٤	”
”	”	”	ص ٣٨٨٦	”
٣-	”	”		

ويتعجب القارئ من أسلوبه العقلي المنطقي الذى اختاره لتوضيح مفاهيم القرآن . وقد اعجبني خاصة قوله فى تفسير آية سورة البقرة ((و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتو بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين))

فهو يقول دليلا على ان القرآن كتاب الله و كلامه :

”فإن شئت ان تشعر سمعك و ذوقك بالفرق بين نظم الكلام البشرى و نظم الكلام الالهى فأت بقراء حسن الصوت يسمعك بعض اشعار المفلقين و خطب المصاقع المفوهين . المتقدمين و المتأخرين بكل ما يمكن من نغم وتحسين ثم ليتل عليك بعد ذلك بعض سور القرآن المختلفة النظم والأسلوب كسورة النجم و سورة القمر و سورة الرحمن و سورة الواقعة و سورة الحديد - مثلا- ثم حكم ذوقك و وجدانك فى الفرق بينهما فى أنفسها ثم فى الفرق بين كل منها و بين كلام البشر فى كل أسلوب من اساليب بلغاتهم و تأثير كل من الكلامين فى نفسك بعد اختلاف وقعه فى سمعك“ . ١ .
وهذه حقيقة ساذجة و لا يستطيع احد ان ينكرها . فنلاحظ ان عديدا من الكفار و المشركين قد عكفوا الى قراءة القرآن بسب وقعه الحلو و تشرفوا بهداية الله ورشده .

ملخص القول

إن 'المنار' و 'فى ظلال القرآن' تفسيران للقرآن الكريم البارزان . و لهما امتيازات و خصائص، قد يشاركان فى عديد من الخصائص و على سبيل المثال كل منهما يقدم الإسلام كنظام للحياة الإنسانية و يهتم كلامها بكافة اموره الحياة الإنسانية و مشاكلها المستفيضة و يقدمان حلولاً لهذه المشاكل فى ضوء الهداية الربانية. و فى الحقيقة كل منهما يريد كسر الجمود الفكرى و العقلى للمجتمع الإسلامى الراهن. و كلاهما يستلزمان التدبر فى القرآن و آياته كما يردان على الشبهات التى اثيرت من قبل اعداء الإسلام ضد القرآن و الإسلام. و لتحقيق هذا الهدف كلاهما يختاران منهجاً عقلياً و اسلوباً منطقياً و يتجنبان الخوض فى البحوث الفقهية و الكلامية و يصرفان أنظارهما عن الإسرائيليات و الأحاديث الضعيفة و مع هذا كله لرشيد رضا قصب السبق فى المنهج العقلانى و من هنا كلما هو يقوم بالبحث الفقهى يختلف عن آراء العلماء و المتقدمين و ينفرد برأيه حتى قيل أنه بعض الأحيان اتخذ مفاهيم لا علاقة لها بالمعنى الحقيقى للكلمات كما نرى فى تفسيره سورة النساء آية: ٤٨ . ١

أما سيد قطب فهو فريد فى منهجه العلمى الخاص الذى اختاره لكى يتجنب الخلافات الفقهية و لكى يأخذ المفاهيم الصحيحة من الآيات القرآنية. و له اسبقية على رشيد رضا فى الاستدلال بالبحوث العلمية و

التحقيق العلمى الحديث. وفى محاولته للرد على الشبهات و الشكوك فهو
يخوض فى عمق المسئلة و يجيب عليها بكل وضوح و تبيان . وينتقد
المفكرين الغربيين و المجتمع الغربى المتقدم ولا يوجد ذلك على الاطلاق
عند رشيد رضا.

خاتمة البحث

خاتمة البحث

إن تفسير سيد قطب يحتل مكانة ممتازة بين التفاسير التي ألفت في القرن العشرين و يحتل مكان الصدارة بين الآثار التي خلفها سيد قطب وراءه . و نصل إلى هذه النتيجة بعد البحث والتحقيق لأن الأستاذ سيد قطب قد سرت في ذهنه وفكرته و في حياته الروح القرآني العملي الثوري . وإذا يفسر القرآن يشارك فيه الأحاسيس الطاهرة المشاعر الفكرية وما يخالج في صدره من الكيفيات عند قراءة القرآن . و كل ذلك أعطاه الإيمان القوى بأن القرآن هو المنهج الصحيح والسديد للحياة البشرية جمعاء فردية كانت او اجتماعية سياسية كانت او إقتصادية روحية كانت او مادية . و نجد أن الفكرة القرآنية بعبارة سهلة و بيان أدبي رشيق يتسرب إلى القلوب .

و له ميزة بارزة أنه لا يعنى بالمسائل الفقهية و ا لخلاف بين المتقدمين و كذلك لا يخوض في المباحث الكلامية والفلسفية و جميع الإتجاهات الأخرى التي تحجب القرآن عن الإنسان و يحب الإنسان عن روح القرآن . و بفضل هذه الميزة كان سيد يقدر على نقل المعانى القرآنية فى صورة بارزة واضحة بأسلوب القرآن الكريم و الروح الثورى القرآنى . فامتاز أسلوبه بالإشراق البيانى و جمال التعبير و سهولته كما امتاز بأداء المعانى فى صورة حركية بدون استعمال المصطلحات الفنية والعلمية المعقدة . و ذلك لا يعنى أنه لم يهتم ببيان ما يحمل القرآن من النقاط البلاغية

والأدبية. فنراه يهتم بالتناسق الفني والتصوير الفني و ترسيم المشهد الذى يعرض القرآن أمام القارئ و عنده هذا من اعجاز القرآن.

و كذلك نجد سيد قطب يبحث عن المسائل العلمية و التطورات التكنولوجية فى العالم الحديث بطريق رائع و ينتقد الفلاسفة والمفكرين الغربين (المتقدمين المزعوم) فى افكارهم على دراسة عميقة و ذلك يؤثر القارى. يجذب الأذهان أسلوب بيانه حين يرد على الشبهات التى أثرت من قبل الأعداء فيقلعها و يبين حقيقتها.

ولا نبالغ فى قولنا أن تفسير سيد قطب فى ظلال القرآن من حيث الكل حركة قرآنية يزرع فى الناس قوة التدبر فى القرآن و التفكير فى آياتها و معانيها و فيما يحمل القرآن من العجائب والعلوم والحكم.

ملخص البحث

الباب الأول

التفسير فى الإصطلاح اللغوى يطلق عادة على الإيضاح و التبيين .
واعتبر الأقوال فيه عندنا ساقال العلامة الزرقانى بأنه ”علم يبحث فيه عن
أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة
البشرية“. و علم التفسير علم ذو فضائل جمّة لإن القرآن واتخذها فى
الحياة العملية يفتحان باب السعادة الحقيقية. فالصحابا كانوا ينهلون من
منهل الرسول ﷺ مباشرة فى مجالسه. ثم جاء عهد الصحابة فكانوا
يستفيدون فى فهم القرآن من الصحابة الذين كانوا أعلم الناس فى مجال
القرآن . ثم فى عهد التابعين اكتفى الناس على علم الصحابة و بعد ذلك فى
عهد التابعين ازدادت العناية بالتفسير و بعد هذا العصر تدوين هذا العلم
جاءت فى حيز الوجود. الفت التفاسير على أساس الأقوال النبوى
والأحاديث الشريفة. و بعد هذا العصر توسعت الإتجاهات التفسيرية.
وحتى العصر الأموى اتسعت الدولة الإسلامية و جاءت ثلاثة مراكز
التفسيرية فى حيز الوجود .

(أ) مركز التفسير فى مكة.

(ب) مركز التفسير فى المدينة.

(ج) مركز التفسير فى العراق.

و لكل منها ميزات و خصائص .

و الأهم أن العهد العباسى هو العهد الذهبى لفن التفسير حيث جمعت

و دونت الأقوال المأثورة و جاء التفسير بالدراية مع التفسير بالرواية و تعددت جوانب التفسير و تنوعت اتجاهاته واتسعت آفاقه. مع أن هذا الإتساع والتنوع قد ألحق التفسير ببعض الأضرار.

فذكرت في هذا المبحث المفسرين الكبار و تفاسيرهم التي نالت شهرة واسعة والقبول لدى العلماء وعامة الناس مثل الرازي و الزمخشري و الطبري وغيرهم. وايضاً ذكرت آراء العلماء والباحثين في هذه التفاسير المؤثرة مع ميزات البارزة و خصائصها الأساسية.

و بعد هذا ذكرت التفاسير الشهيرة الهامة التي ألفت بعد العصر العباسي مع ذكر الآراء النقدية من قبل كبار العلماء والباحثين.

ثم جئت إلى التفسير في القرآن العشرين حيث قلت أن التفسير قبل القرن العشرين بقليل ما قد توقفت أم بطأت و المحاولات التي قام بها العلماء في إبان هذه الفترة كانت شبه تكرار لما سبق في القرون الماضية. أما في القرن العشرين فلاحظنا حياة جديدة في حركة التفسير. فبعض هذه التفاسير يتصف بميزات قلما نجدها عند المتقدمين و على سبيل المثال تفسير العلامة حميد الدين الفراهي مع أنه ليس بكامل بل هو تفسير لجزء قليل من القرآن الكريم. فلم يتمسك الفراهي بالأسلوب التقليدي بل فتح آفاقاً جديدة في مجال التفسير. و كشف لنا سر إعجاز القرآن بما في ذلك من نظم الكلام. فهو المفسر الوحيد الذي صاغ له أصولاً و قواعد و جعل لبحثه مناهجاً و معالماً.

والثاني هو الأستاذ رشيد رضا تلميذا لأستاذ الشيخ محمد عبده الذي ألف تفسيره تحت عنوان "المنار" و هو تفسير هام و أكثر من ذلك حركة تفسيرية تقوم لفهم القرآن من حيث أنه نظام الحياة للإنسان مع أنه قد رد على شبهات الخصوم و المعاندين بطريق أروع. و كذلك تفسير

الشنقيطى و ابن عاشور الذان قاما بمحاولة رفيعة مع جذب التفات الجيل الجديد إلى القرآن و إسراء الحركة الثورية القرآنية فى قلوب الناس .

الباب الثانى

ولد سيد قطب فى قرية 'موشا' تابعة لمحافظة 'اسيوط' بمصر سنة ١٩٠٦ م . نشأ فى أسرة ميسورة الحال . تعلم أولاً فى مكتب القرية ثم فى مدرسة القرية النظامية . بعد انتهاء دراسته فى المدرسة النظامية فى عام ١٩١٨ م انتقل إلى القاهرة و التحق بمدرسة الثانوية سنة ١٩٢١ م . و قد تأخر بسبب الثورة المصرية الكبرى حيث اغلقت المدارس لمدة . ثم التحق بكلية دارالعلوم فى عام ١٩٣٠ م و تخرج من هنا فى عام ١٩٣٣ حاصلًا على شهادة الليسانس فى الأدب مع دبلوم فى التربية . و كان طالبا ممتازا متفوقاً ذو مستوى رفيعة فى النشاطات الأدبية و غيرها .

فى العام ٢٧ من عمره دخل فى مهنة التدريس واستمر يكتب فى الشعر والأدب و الصحافة . ثم انتقل إلى وزارة المعارف فى عام ١٩٤٠ م و قام هنا بخدماته إلى ٨ سنين . ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية و قضى هنا عامين . وشاهد المجتمع الأمريكى و ما يعانى من فساد و خلل و اضطراب . فعاد بغير الفكرة التى ذهب بها والقلب الذى ذهب به . فسفره إلى امريكا كان نقطة تحول لحياته الفكرية .

التحق بجماعة الإخوان المسلمون فى عام ١٩٥١ م وقام بخدمات جليدة للإخوان حتى اصبح قائدا فكريا . و بعد الإلتحاق بالإخوان قضى معظم حياته إما فى السجون و إما فى المستشفيات للمعالجة . أو ذى كثيرا فى السجون حتى اعدم بالحكومة العسكرية فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٦ م و لقي ربه شهيدا فى سبيل دينه .

خلف وراءه آثاراً أدبية ذات أهمية و جيزة في الشعر والنثر والفكر الإسلامي و ثلاثة دواوين الشعرية. الشاطىء المجهول و قافلة الرقيق و حلم الفجر . فلم يطبع منهم إلا واحداً. و كذلك له أربع مؤلفات فى النقد الأدبى و ثلاث فى القصة:

(١) طفل من القرية (٢) أشواك (٣) المدينة المسحورة.

وله آثار ذو أهمية هامة فى الفكر الإسلامى و فى مقدمتها تفسيره فى ظلال القرآن و غير ذلك أهمها مايلى:

التصوير الفنى فى القرآن. مشاهد القيامة. العدالة الإجتماعية فى الإسلام . معركة الإسلام والرأسمالية. المستقبل لهذا الدين . السلام العالمى والإسلام المستقبل لهذا الدين و غيرها.
آثاره فى الأدب و آثاره فى الفكر الإسلامى نالت القبول فى العالم الإسلامى كله.

الباب الثالث

أول ما ذكرت فيه هو موضوع العلاقة بين الإنسان و الكون و بينهما و بين الله. و تحمل هذه أهمية كبرى و مكانة عظمى فى تفسير سيد قطب و قد تحدث عنها فى الأماكن المختلفة شرحاً و إجمالاً. فلوجود عنده قسمان ، قسم يعلمه البشر و الثانى مالا يعلمه الإنسان و هو أكبر بالنسبة ما يعلمه. و يرى سيد قطب الإنسان "سيد الأرض" و "مستخلف فى الأرض" و "مالك لمافيه" و "مؤثر فيه". و "هو الكائن الأعلى فى هذا الملك العريض".

ثم تصوره للإسلام و تعبير المصطلحات مثل 'الدين' و 'الإسلام' تحتلان أهمية كبرى عنده. و يأخذ الإسلام ديناً حركياً انقلابياً. يرشد

الإنسان فى جميع مجالات الحياة . و هذا هو الروح الذى نرى فى تفسيره
من البدء إلى الختام .

أما منهجه فى التفسير فهو أيضا منهج فريد جديد . اذا يفسر الآيات
الربانية يفكر فيها و يدبرها حتى يقف على التعابير الدقيقة . وهكذا هو
يقدر على الوصول إلى بدائع الكلام الربانى و دقائقه التى لم يصل إليها
الآخرون . و فى نهاية المطاف هو يلقي الضوء على النقاط التى قد مر بها
المفسرون الآخرون بدون ادراكها او إلمام بها .

و لقد أبرز سيد قطب افقا آخر من آفاق البلاغة القرآنية و الأسلوب
القرآنى و هو التناسق الفنى او الإعجاز الفنى او التصوير الفنى الزاخر فى
الآيات القرآنية . و قد بين هذا التناسق بصورة واضحة فى كتابه الشهير
”التصوير الفنى فى القرآن“ فإنه يرى ان طريقة التصوير هى اجمل الطرق
التى يعبر بها . و قد بين هذا التناسق الفنى العجيب فى الآيات فى كل مكان .
والمهم و الممتاز فى تفسيره هو المناسبة و النظام بين الآيات . و اذا
نتأمل فى تفسيره نلاحظ أن صورة المناسبة و واضحة فى الآيات و فى كثير من
السور و هذا بالرغم من أنه لم يعتن بهذا العلم اعتناء كاملا . مثل الأستاذ
حميد الدين الفراهى الذى ضاع الأصول و القواعد لهذا الفن الجليل و
كذلك نرى ان التفسير فى ظلال القرآن يجذب القارئ بأسلوبه الأدبى
الرشيق . و هذه ميزة بارزة من ميزات تفسير سيد قطب و سيقى الأمثال فى
هذه المجال .

و قمت بدراسة بعض المصطلحات الأساسية القرآنية كما وضحت
فى تفسيره ’ فى ظلال القرآن ‘ مثل التوحيد و الشرك و النفاق .

و بعد ذلك نجد الدراسة المقارنة بين التفسيرين ’ المنار ‘ و ’ فى ظلال

القرآن ‘ .

إن 'المنار' و 'فى ظلال القرآن' تفسيران للقرآن الكريم البارزان . و
لهما امتيازات و خصائص، قد يشاركان فى عديد من الخصائص. و على
سبيل المثال كل منهما يقدم الإسلام كنظام للحياة الانسانية و يهتم
تفسيرهما بكافة امور الحياة الإنسانية و مشاكلها المستفيضة و يقدمان
حلولاً لهذه المشاكل فى ضوء الهداية الربانية. و فى الحقيقة كل منهما
يريد كسر الجمود الفكرى و العقلى للمجتمع الإسلامى الراهن. و كلاهما
يستلزمان التدبر فى القرآن و آياته كما يردان على الشبهات التى اثيرت من
قبل اعداء الإسلام ضد القرآن و الإسلام. و لتحقيق هذا الهدف كلاهما
يختاران منهجا عقلانيا و اسلوبا منطقيا و يتجنبان الخوض فى البحوث
الفقهية و الكلامية و يصرفان أنظارهما عن الإسرائيليات و الأحاديث
الضعيفة و مع هذا كله لرشيد رضا قصب السبق فى المنهج العقلانى و من
هنا كلما هو يقوم بالبحث الفقهى يختلف عن آراء العلماء و المتقدمين و
ينفرد برأيه حتى قيل أنه بعض الأحيان اتخذ مفاهيم لا علاقة لها بالمعنى
الحقيقى للكلمات كما نرى فى تفسيره لسورة النساء آية : ٤٨ .

أما سيد قطب فهو فريد فى منهجه العلمى الخاص الذى اختاره لكى
يتجنب الخلافات الفقهية و لكى يأخذ المفاهيم الصحيحة من الآيات
القرآنية. و له اسبقية على رشيد رضا فى الاستدلال بالبحوث العلمية و
التحقيق العلمى الحديث و فى محاولته للرد على الشبهات و الشكوك فهو
يخوض فى عمق المسئلة و يجيب عليها بكل وضوح و تبيان. و ينتقد
المفكرين الغربيين و المجتمع الغربى المتقدم ولا يوجد ذلك على الاطلاق
عند رشيد رضا.



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- (١) مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان
دارالسعودية للنشر ط -١٩٧١م
- (٢) مشاهد القيامة فى القرآن لسيد قطب
دارالشروق بيروت
- (٣) فى ظلال القرآن
دارالشروق بيروت ط -الحادى عشر
- (٤) التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب
دارالشروق بيروت ط - ١٩٩٣م
- (٥) معالم فى الطريق لسيد قطب
دارالشروق بيروت ط - ١٩٧٣م
- (٦) مناهل العرفان للعلامة الزرقانى
- (٧) الإتقان فى علوم القرآن للعلامة السيوطى
كتب خانه اشاعت اسلام ، دهلى . ٦
- (٨) صحيح البخارى للإمام البخارى
- (٩) التفسير و المفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى
مكتبه وهبية مصرط - ١٩٨٥م

- (١٠) مقدمة فى أصول التفسير للعلامة ابن تيمية
- (١١) مقدمة ابن خلدون للعلامة ابن خلدون
- مكتبة التجارية مصطفى احمد الباز مكة ط - ١٩٩٧م
- (١٢) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى دارالكتب العلمية بيروت
- (١٣) المنار للأستاذ رشيد رضا دارالمعرفة بيروت ط - ١٩٩٣م
- (١٤) اتجاهات التفسير فى القرن العشرين للدكتور فهد بن عبدالرحمن الرومى دارالعلم بيروت ط - اولى
- (١٥) رائد الفكر الإسلامى المعاصر الشهيد سيد قطب حياته و مدرسة افكاره ليوسف العظم دارالقلم بيروت ط - اولى ١٩٨٠م
- (١٦) معركتنا مع اليهود لسيد قطب الدار السعودية للنشر و التوزيع ، جدة ط - اولى ١٩٧٠م
- (١٧) الأدب الغربى فى آثار الدارسين ليوسف نجم دارالعلم بيروت
- (١٨) صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر لرجاء النقاش دارالكتب بيروت
- (١٩) النقد الأدبى اصوله و منهجه ليسد قطب دارالفكر مصر ط - ١٩٨١م
- (٢٠) ديوان سيد قطب ترتيب : عبدالباقى محمد حسين دارالشروق بيروت

المراجع الأردوية

- (١) تاريخ افكار و علوم اسلامى راغب الطباخ
- ترجمة: افتخار احمد بلخي - مركزى مكتبه اسلامى، دهلى
- (٢) جاده و منزل سيد قطب
- ترجمه: خليل احمد حامدى، دارالقرآن الكريم، دمشق ط - ١٩٧٧ م
- (٣) اسلام ميں عدل اجتماعى سيد قطب
- ترجمه: ڈاكٲر نجات الله صديقى - مركزى مكتبه اسلامى ط - ٣
- (٤) سيد قطب شهيد حيات و خدمات ڈاكٲر عبيدالله فهد
- و محمد صلاح الدين عمري
- منشورات، لاهور، پاكستان ط - ١٩٩٩ م
- (٥) فى ظلال القرآن (اردو) سيد حامد على
- هندوستان پبليكيشنز ط - ٢، ١٩٨٩ م

الجرائد و المجلات

- (١) "رسالة الإخوان" تصدر من لندن العدد (١٣٨) ٧ / مايو ١٩٩٩ م
 - (٢) " " " " (١٣٩) ١٤ / مايو ١٩٩٩ م
 - (٣) " " " " (١٤٠) ٢١ / مايو ١٩٩٩ م
 - (٤) " " " " (١٦٠) ٨ / اكتوبر ١٩٩٩ م
 - (٥) "الدعوة" اصدرت من القاهرة العدد (٢١) فبراير ١٩٧٨ م
- المقال: سيد قطب مرحلة فى تاريخ الكفاح الإسلامى لصالح العشماوى.

(٦) "الدعوة" العدد (٢٢) عدد خاص على مرور ٥٠ عاما على تأسيس الإخوان .

مارس ١٩٧٨ م .

مقال سيد قطب : "ماذا يعنى انتمائى للإسلام"

(٧) "الدعوة" نفس العدد

مقال : "شخصية مصر التاريخية" للدكتور محمد رشاد خليلى

المفهرس

المفهرس

مقدمة البحث

الباب الأول: تاريخ تفسير القرآن

٢٦-١

- الفصل الاول: تعريف التفسير و نشأته ٣ - ٥
- الفصل الثانى: التفسير فى عهد الإسلامى الأول ٧ - ٨
- الفصل الثالث: التفسير فى العهد الأموى ١٠ - ١١
- الفصل الرابع: التفسير فى العهد العباسى ١٢ - ١٦
- الفصل الخامس: التفسير بعد العهد العباسى ١٨ - ٢٢
- الفصل السادس: التفسير فى القرن العشرين ٢٤ - ٢٦

الباب الثانى: حياة سيد قطب و اعماله

٤٥-٢٧

- الفصل الأول: حياة سيد قطب ٢٩ - ٣٣
- الفصل الثانى: اعماله الأدبية ٣٥ - ٤٢
- الفصل الثالث: آثاره فى الفكر الإسلامى ٤٤ - ٤٥

الباب الثالث: دراسة تحليلية للتفسير 'فى ظلال القرآن' ٤٦ - ٩٥

- مبدأ البحث ٤٧
- الفصل الأول: ماذا يقول المفسر والآخرون عن التفسير ٤٩ - ٥١
- الفصل الثانى: رؤية سيد قطب إلى الإنسان و الكون ٥٣ - ٥٦

الفصل الثالث: الإسلام كما يفهمه سيد قطب ٥٨-٦٠

الفصل الرابع: الروح القرآنى ٦٢-٦٤

الفصل الخامس: دراسة منهجه فى التفسير ٦٦-٧٨

الفصل السادس: دراسة بعض المصطلحات ٨٠-٨٥

الفصل السابع: المقارنة بين التفسيرين ٨٧-٩٥

٩٧-٩٨ خاتمة البحث

١٠٠-١٠٥ ملخص البحث

١٠٧-١١٠ المصادر والمراجع

١١٢-١١٣ المفهرس

